أحمد سويلم

الأعمال الشعرية

المجلد الثانى

- قراءة فى كتاب الليل
- شظايا
- الزمان العصى
- الرحيل الى المدن الساهرة
- لزوميات



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٨

الإخراج الفنى والتنفيذ:
صبرى عبدالواحد

تجربتى الشعرية*

يوما .. توقفت عند هذه الكلمات التى كتبها الشاعر المجرى ـ شندور بيتوفى ـ والتى تقول:

ليس الشعر قاعة استقبال

يجتمع فيها المتحذلقون من حثالة المجتمع

بقصد الثرثرة والمهاترة..

ـ إنما الشعر أعظم شأنا من ذلك

إنه مسكن مفتوح على مصراعيه

للسعداء والأشقياء على السواء

* رأيت من واجبى أن أقدم تجربتى الشعرية استجابة لرغبة أصدقائي من الباحثين والقراء.. لعلها تفلح فى جذبهم إلى عالمى الشعرى.

إنه معبد مقدس يؤمه كل الذين يريدون الصلاة

ولوكانوا حفاة..

ـ يا من تود أن تكون صاحب قلم

تناول القلم إذا آنست من نفسك القوة

ثم تقدم إلى حيث لم يخْط أحد قط

وإلا.. خذ محراثًا أو قالب إسكاف

وألق من يديك عودك الجاف الحقير!

أدركت كم أن الشعر ـ صعب وطويل سُلّمة ـ وأنه معركة نضال طويلة بين الشاعر والوجود بما يحمل من ماض وحاضر ومستقبل.. هو إذن تجربة حياة وصراع.. وموت.. تجربة نجاح وإخفاق. وهو إلى جانب ذلك قلعة عظيمة مطلّة على جميع أنهار وبحار العالم.. وفيها يمكننا أن نلتقى بتلك الوجوه التى تتحدى الزمن.. منذ كتب هوميروس ملحمته الشعرية العظيمة.. حتى ذلك الجنين المنتظر فى باطن المستقبل.. والذى ينبئ بالجمال المثالى..

وقصتى مع الشعر لاتخرج عن ساحات ودهاليز هذه القلعة.. التى قد تبدو أنها قلعة حصينة مسلحة.. بالرغم من أنها مفتّحة الأبواب والنوافذ..

ولا أدرى ـ تمامًا ـ متى كانت أول طرقة على باب هذه القلعة.. وإن كنت متأكداً من محاولاتى الأولى لهذه المغامرة.. منذ فُتحت عيونى على قراءات التراث الشعرى العربى والصوفى فى تلك الكتب الصفراء القديمة التى كان والدى الشيخ ـ رحمه الله ـ يحتفظ بها فى خزانته الخاصة.. بعيداً عن عبث الصغار.. وكنت أتسلّل إليها فى أثناء غيابه عن البيت.. وأنهل منها ما أستطيع.. حتى إذا أحسست بخطاه.. أسرع بإعادتها والخروج لاستقباله.. نافضًا عقلى وقلبى من تأثيرها حتى لايفطن إلى (جريمتى).. لكن يبدو أننى كنت أحيط هذا الرجل الطيب بهالة من الهيبة المخيفة التى لم تكن فيه.. ففى أحد الأيام.. فاجأنى فى غرفته.. مستلقيا فوق صدرى.. وواضعًا ديوان ابن الفارض أسفل وجهى.. وأدمعى تملأ عينىّ من شدة التأثر بما أقرؤه.. وحينما شعرت به فوق رأسى.. قفزت من مكانى.. لكنه نظر إلىّ فى حنان وحب.. وأدرك كل شئ.. فضمنى إلى صدره.. وبدأ يشجعنى على القراءة فى الشعر والتراث الشعبى.. بل كان يضمنى إلى حلقة الذكر التى كان يعقدها فى البيت ليلة كل أربعاء.. أهتز فيها على أنغام المنظومات الدينية التى تنشد فى تلك الليالى الجميلة..

وكعادة أبناء الريف.. كان المسجد بالنسبة لى مدرسة ثقافية جامعة إلى جانب المدرسة التى تسقينا العلم.. ومكتبتها التى نقرأ فيها دائماً ما نميل إليه.. وأذكر أننى كنت حريصًا على قضاء ما بين العصر

والمغرب فى المسجد.. حيث كان الشيخ عبدالهادى.. يتصدر المجلس ليتحدث إلينا فى كل شئ ويجيب عن كل سؤال.. والعجيب أن هذا الرجل لم يكن يملك من حياته إلا شهادتى (الفقر) و(لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) - على حد قوله - لكنه لعب دوراً مع جيلى الريفى فى غرس قيم الحرية والرأى والحوار.. ومزيد من الثقافة العامة.. وأذكر أن أول علاقتى بالكتابة كانت فى صورة رواية طويلة بعنوان (حب فى الظلام) ثم تبعتها بقصص قصيرة - على قدر سنّى وخبرتى المحدودة - مستمداً مضامينها من الحياة فى الريف فى بلدتى (بيلا) والتى تقع بالقرب من ساحل المتوسط فى شمالى الدلتا.. إلى أن جاء عام ١٩٥٦ .. وتلقّت مصر تهديداً بعد تأميم قناة السويس.. وامتنعت كل دول العالم عن مساعدة مصر عسكريا.. وبدأت الدعوة للتبرع لتسليح الجيش المصرى وغنى محمد عبدالوهاب أيامها أغنيته (سلّح جيش أوطانك.. واتبرع لسلاحه..) فانهالت التبرعات من أجل إنقاذ الكرامة المصرية.. ووجدتنى أكتب - بالعامية - على غرار هذه الأغنية متحمساً.. مشاركاً هذا الشعور القومى الفياض.. ثم عرضت ما كتبت على صديقى الأزهرى - حسن محرم الحوينى - وهو الآن مدرس بجامعة الأزهر - فوجدته يحفزنى على إعادة كتابة هذه المقطوعة بالفصحى.!

لقد فجر صديقى فى داخلى الشعر.. ولابد أنه أحسّ يومها بهذا الاشتعال الكامن الذى لا أنتبه إليه.. فاستفزّه.. وحركة من ركوده وكمونه..

كان الشعر لدىّ هو الكلام الموزون المقفى.. وكان علىّ ـ كما فعل خلف الأحمر مع أبى نواس ـ أن أحفظ ألف بيت من الشعر .. ثم أنسى ما حفظت حتى أكون شاعراً مجيدا.. وكان علىّ أن أنهل من تراث الشعراء على مدى التاريخ الشعرى حتى أحدث مدارسه: المهجر وأبوللو والديوان.. وأعجبنى كثيراً فى قراءاتى الأولى: صعلكة عروة بن الورد.. وبطولة عنترة ـ وشموخ امرئ القيس ـ وتجديد أبى العتاهية ـ وروميات أبى فراس ـ وفلسفة أبى العلاء ـ ومقدرة ابن الرومى ـ وتفرد المتنبى ـ وتمرد أبى نواس ـ ودراما ابن أبى ربيعه ـ وشعبية البهاء زهير ـ وتحدى البارودى ـ ومعاصرة شوقى وحافظ ـ ورومانسية ناجى وعلى محمود طه وجماعة أبوللو ـ وتأملات مدرسة المهجر ـ وتجديد مدرسة الديوان.

سكن كل هذا وجدانى طوال سنوات ثلاث (١٩٥٦ ـ ١٩٥٩) وحاكيت شيئاً منه فى قصائدى وأنا طالب فى المرحلة الثانوية.. تغمرنى البراءة الثورية والحماسة الشفافة التى أستمدها من الإعلام السائد وقتها.. ومما كنت ألقاه فى الفصل الدراسى من الشعور القومى

الخالص.. فكان شعرى انعكاسًا تلقائيا لايحيد إلى دروب أرحب من هذا!

وأرحل إلى القاهرة حاملاً شهادة إتمام الثانوية العامة.. وستة عشر عامًا لم أبرح خلالها هذا الريف التقليدى..

ويصل الشاب الريفى إلى القاهرة.. تلك المدينة الصاخبة.. التى صبغت شعرها بالقهوة السوداء.. وانطفأت فيها براءة الطفولة.. وتفككت مفاصلها.. وبدت تجاعيدها.. وامتلأت بالمفارقات والتناقضات..

وجدت نفسى فى قلب المدينة.. ألتحق بعمل لأعول أسرة مكونة من أم فقدت زوجها من سنوات.. وثلاثة أطفال صغار..

ترى .. أكانت تجربة جديدة.. أم هى إضافة إلى الشعر..؟

وما الذى يمكن أن تمنحه تلك المدينة الموحشة لهذا الوافد البسيط الرقيق.. الذى حمل فى قلبه الإيمان والبراءة معا.. وماذا عن الشعر .. والشعراء.. والإعلام.. والسياسة.. ماذا عن كل هذا..!

لقد أدركت منذ الوهلة الأولى أن المدينة تقتحمنى.. تتسلل داخل شراييني.. تتوحد بخلاياى.. وأن علىّ مقاومتها.. أو مهادنتها.. أو التواصل معها بلاجراح..

جذبتنى الساحة.. بإيقاعها السريع الذى يدور فى عجلة شديدة.. يخالف تماماً ذلك الإيقاع الذى أحمله فى داخلى من ريفى البعيد..

وكانت الساحة فى بداية الستينيات ذات ملامح محددة.. فهى ساحة فرضت عليها حتمية التغيير.. من مجتمع يعانى بقايا الرأسمالية والإقطاع والرجعية والصراعات على السلطة.. إلى مجتمع وجد فى النظام الاشتراكى خلاص المرحلة.. وطبيعى أن يجد هذا التغيير من يناصره من شباب مصر.. ومن يقاومه من هؤلاء التقليديين المحافظين..

إنها مرحلة انعكست على كل شئ فى حياتنا.. اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وفنيا وأدبيا.. وما يهمنا هنا ما انعكس على الشعر.

فمنذ سنوات عشر تقريبا قبل هذه المرحلة.. بدأت مدرسة الشعر الجديد تعلن تمردها على تقليدية القصيدة.. ورتابتها ـ وإن كانت تحترم الحوار مع التقليديين برغم إعلانهم خصومتهم لهذا التطور الجديد.

وكان صلاح عبدالصبور رائد هذه المدرسة فى مصر.. والسياب ونازك الملائكة والبياتى فى العراق.. وبالرغم من المقاومة الضارية فى جميع وسائل الإعلام.. فان إصرار أبناء هذه المدرسة كان أقوى وأشد قدرة على التصدى والصمود.. مسلحين بالثقافة المنوعة التى تمزج التراث البعيد بمعاصرة الحديث.. والثقافة العربية بالثقافة الأجنبية..

وبدأت القصيدة الحديثة تأخذ مسارها فى الساحة بمفرداتها الخاصة.. وتشكيلها الجديد وإضافاتها وآفاقها المتعددة بين الغنائية والدرامية، وبين الرومانسية والواقعية.. وبين إضافاتها المسرحية على أيدى الشرقاوى وعبدالصبور.. مؤكدة ثراءها.. وعدم جمودها فى قوالب بعينها..

أين أنا إذن فى هذا المعترك الصاخب..؟

إما أن اكون.. أو .. لا أكون..!

أدركت أن ماسبق وكتبته طوال السنوات السابقة ـ ومازهوت به كثيراً ـ لم يعد يصلح لهذه الساحة الأكثر حركة وقلقا.. ووجدت نفسى فى قلب المدرسة الجديدة ألتقط خيوطها.. وأنسج منها إبداعاتى متكأ على ذلك الزاد المتميز الذى حملته من التراث.. وما أقبلت عليه من الثقافة الحديثة.. كان علىّ أن أعيد حساباتى فى كل شئ.. وأن أقرأ ما قرأت ـ سابقًا ـ لكن برؤية أخرى تمامًا.. وأضيف إليه ما استحدث فى قلب العاصمة.. ثم بعد ذلك أبدأ فى إفراغ رؤيتى الخاصة.

وكان سباقًا مع الزمن.. واصلت فيه دراستى الجامعية (فى كلية التجارة) فى أثناء عملى اليومى.. لكن الشعر كان يحفر لنفسه مساره الخاص الذى لايطغى عليه أى مسار آخر.

التحمت بالساحة الجديدة لعلنى أحظى فيها بقصب السبق ـ كما يقولون ـ ووضعت ماكتبت من قبل فى (مظروف كبير) خاص كتبت عليه (ما قبل التاريخ).. ثم انطلقت من جديد مسلحًا بإصرارى على خوض هذا المعترك..

وفى أوائل عام ١٩٦٤ ـ بعد سنوات خمس من التجريب ـ كانت أول قصيدة حديثة لى رأيت أنها تصلح لتقدمنى للقارئ.. وعلى الفور أرسلتها إلى جريدة (الحرية) فى بيروت باسم رئيس تحريرها.. وسعدت بها منشورة على صفحاتها..

إذن يمكن أن تكون هذه الجريدة ـ غير المصرية ـ جواز مرورى إلى الساحة المصرية.. وبالفعل رحب بأشعارى الدكتور عبدالقادر القط حينما كان رئيسًا لتحرير مجلة الشعر القاهرية.. لتبدأ رحلتى مع النشر بلا انقطاع..

وتتناثر من حولى دواوين الشعر الجديد.. كل له مذاقه وتجربته وإضافته.. وأكتب وأنشر قصائد متفرقة هنا وهناك.. ويشير على أصدقائى أن أنشر ديوانى الأول..

لم يكن من اليسير ـ وقتها ـ أن ينشر شاعر جديد ديوانه الأول ـ كما هى الحال اليوم ـ فقد كان النشر له معايير قاسية ولجان أكثر قسوة..

راقت لى التجربة .. ووجدتها فرصة اختبار حقيقية لقدرتى الإبداعية ـ فجمعت عدداً من القصائد ودفعتها إلى (دار الكاتب العربى) وكانت داراً قومية.. وبعد فترة روتينية طويلة امتدت لأكثر من ستة أشهر.. تمت الموافقة على الديوان.. ليصدر فى أعقاب النكسة (سبتمبر ١٩٦٧)

لكننى لم أكتف بصدور ديوانى الأول هكذا.. وإنما أردت أن أعرف مكانى حقيقة فى خريطة الشعراء.. ولهذا دعوت الأستاذين الكبيرين الدكتور عبدالقادر القط والشاعر صلاح عبدالصبور ليناقشاه فى ندوة إذاعية متخصصة فى البرنامج الثانى.. وكانت البداية الحقيقية تلك الكلمات التى لاتزال تتردد فى وجدانى بصوت هذين الرائدين.. والتى دفعتنى بقوة إلى شق مسارى الخاص بعيداً عن التعلق بالجماعات السائدة أو بسلطة ثقافية معينة .. لإيمانى أن الكلمة وحدها هى السلطة الحقيقية التى يتعلق بها الشاعر .. رهى الحكم العدل لإبداعه..

كانت المضامين السائدة آنذاك تدور حول محاور الذات والحب والتعاطف والتنبؤ بالمستقبل والمصير.. وكنا جيلاً قرأ التراث قراءة عميقة فاتخذه تكئة فنية ينطلق منها إلى العصر ودراما الإنسان مع الوجودحيث يثور ويتمرد ويتطلع إلى الغد.

وبدأت رحلتى مع الكشف والارتياد فى أقاليم الليل والنهار والتراث والواقع والمستقبل.. وكنت أحرص كل يوم على اكتساب خبرة جديدة وتجارب أكثر تأثيراً .. تتسلل إلى داخلى وتؤكد كل مقومات الإبداع..

وبجاذبية المسئولية ومذاقها المعذِّب الجميل.. وضعت ماأكتب تحت الأضواء الساطعة للنقد الذاتى ـ قبل أن أدفعه إلى النشر ـ وكثيراً ـ وحتى الآن ـ ما أتحول إلى ناقد مستنفز مسلح بكل أسلحة الصراحة والمواجهة والصرامة ـ بعيداً عن الرحمة والمصانعة ـ فأسقط قصيدة من حسابى.. لأنها ـ فى تصورى ـ لاتمثل إضافة إلى ديوان جديد.. بالرغم من نشرها فى مجلة أو صحيفة .. أو أجدنى أعيد النظر فى قصيدة كتبتها فأضيف أو أحذف.. أو أنقّح..!

إننى أفعل ذلك دون خجل مع نفسى.. كأننى أصلح من نفسى أنا.. باعتبار أن القصيدة وذاتى كل واحد لايتجزأ .. وأن التجربة الشعرية هى تجربة حياة.. وهى تمر بمراحل كثيرة ذات منحنيات ومنعطفات ودروب ـ تنتهى أخيراً إلى تسجيلها على الورق.. فى دفتر خاص.. وهنا أكف تماماً عن النظر فيها.. ولا أسمح لنفسى بالتعديل أو التغيير..

والتجربة عندى تبدأ ـ فى دهاليز الزمان الممتد داخلى منذ الطفوله حتى لحظة كتابة القصيدة.. بل تمتد بأطراف مختلفة فى ماضى الإنسانية القديم..

وهى تعيش داخلى فى ركن مجهول.. وما أكثر أركان ذاتى المجهولة ـ حتى إذا لمست هذه (الخلية الأولى) لحظة تفجر معاصرة.. سرعان ما تتحول هذه (الخلية) إلى محور (مغناطيسى) داخلى ينجذب إليه كل ما يحمل طرفًا من خصائص هذا المحور.. وتظل عمليات الجذب والطرد.. والقوة والضعف.. حتى يكتمل المحور تمامًا ويتشبع بهذه المفردات المنجذبة.. ولحظتها فقط أحسّ بقوة أشواك هذه التجربة داخلى.. وأن علىّ أن (أتخلص) منها على الورق!

وأنا على يقين بأن التعجل فى إفراغ التجربة قد يأتى بأثر عكسى تماما.. ولهذا فمرحلة اليقين عندى لاتأتى بمجرد الإلحاح الأول.. بل أجدنى ـ لهذا ـ أهرب وأهرب خوفًا من أن يكون ما أحسّه (حَملاً كاذبًا) .. وأظل هاربًا حتى أصل إلى أقرب نقطة من الرؤية والصدق والتجربة.. وساعتها لا أملك إلا الكتابة..

وفى يقينى أيضا أن متعتى الحقيقية هى فى ذلك العذاب الممتع الذى أعانيه فى داخلى حتى تأتى لحظة المخاض.. وهنا أكتب تجربتى فى جلسة واحدة.. ثم أترك ما كتبت قليلا حتى أستعيد طبيعتى ـ قبل القصيدة ـ لأتحول إلى قارئ أو ناقد.. فأقبل على القصيدة مرة ومرة أصلح منها..

لقد قصدت هنا أن أقترب من مراحل التجربة الشعرية.. لكنى أدرك تماما أن بها عوامل كثيرة أخرى تتداخل وتتعانق حتى تتم التجربة.. يعجز أى مبدع أن يصفها أو يحدد ملامحها تمامًا.. أو حتى يعبر عنها.. وبالرغم من كل هذا فأنا أومن ـ كما يقول ناظم حكمت ـ أن (القصيدة الجيدة هى التى لم تكتب بعد) وإلا توقف الإنسان عن الابداع.. فقد كتب العمل الجيد!

دخلت بهذا ساحة الشعر ـ والنشر ـ من أوسع أبوابها.. وطرقت تجارب كثيرة من التشكيل الشعرى والخوض فى (تجريب) الحديث بكل آفاقه وما أصدرته فى دواوين إنما وقع تحت اختيار دقيق من بين عدد كبير من القصائد.. أردت ورضيت أن أقدم نفسى من خلال ما نشرته فى هذه الدواوين فقط ـ فى حينها بالطبع ـ

ففى ديوانى الأول والثانى.. كنت أتحسس خطاى فوق هذه الأرض الوعرة الملتهبة ـ وكانت أمامى تجارب الرواد الكبار.. وغيرهم من رواد العالم الذين تصل إلينا أعمالهم كل يوم..

فطبيعى أن أقع تحت تأثير ما أقرأ وأحب.. وأحاول الانفلات منه حتى أتخذ لنفسى مسارًا خاصًا.. تجلى فى ديوانى الثالث (**البحث عن الدائرة المجهولة**) خاصة فى قصيدتى التى تقول:

أبحث عن دائرة

تتعرى فيها كل الأشياء

أبحث عن دائرة تصدق فيها الكذبة

لاتخفى عن أعيننا

أبحث عن دائرة أكسر فيها تمثال الضحكة

وأراه لايتجوّف فى داخله الحزن..!

لعلها دائرة عارية من الظل والضوء معًا.. تتسع للكلمات المسموعة والمنظورة والمكنونة فى القلب.. إنها بلاشك دائرة البحث الذى لايتوقف..

لقد كان هذا الديوان الذى صدر عام ١٩٧٣ ـ فى أوله ـ حصيلة تجربة طويلة قاسية من الإحباط والتحمل والتوقع الوهمى الذى عاشه المجتمع العربى فى هذه الفترة التى سميت (باللاسلم واللاحرب) والتى انعكست بلاشك فى أعمال جيلنا كله.. وكان معظمه مجنداً فى القوات المسلحة منذ سنوات سابقة فى انتظار الخلاص.

وكانت رؤيتى للخلاص تتكئ على مقومات عديدة.. أولها على الإطلاق الاعتماد على الذات والتحدى لهذا المصير الذى اقتحم الساحة العربية فأصابها فى مقتل..

وتجيء حرب أكتوبر ١٩٧٣ وكنت واحداً من المشاركين فيها.. وتهطل علينا آثارها ـ الايجابية والسلبية وتتعدد وتتفرد الرؤى لهذا الحديث الكبير.. ويقع المبدعون فى مأزق شديد.. فما حدث عظيم بكل المقاييس لكنه ليس نهاية العظمة وقمة الخلاص.. وماجناه الإعلام فى حق هذا الحدث من مبالغات أظهرته بصورة غير واقعية..

ماذا إذن يفعل المبدعون؟.. إن هم صدقوا مع أنفسهم خرج إبداعهم أقل من هذه الصورة الإعلامية التى اقتحمت وجدان الناس.. وإن هم واكبوا ركب الإعلام.. أصبحوا مبدعين إعلاميين وشاركوا فى جريمة المبالغة!

إنه إذن مأزق شديد.. دفع المبدعين إلى الصراخ والبحث عن حل هذه المعادلة الصعبة عن طريق التعليق بالرمز والتراث والتشكيل الشعرى الذى يثرى التجربة ويبعدها عن المباشرة.. ويجعلها ممتدة فى الزمان القادم..

كان ديوانى (**الليل وذاكرة الأوراق**) ١٩٧٧ انعكاسًا حقيقيا لهذا القلق.. وفيه أتساءل:

من سيقول الحقيقة

قد تجيئين من عالم المستحيل

تفيقين..

قد.

قد تجيئين من عالم المستحيل..!

وفى هذا الديوان طرقت باب الدراما الشعرية ـ على مستوى القصيدة ـ بعد أن طرقتها من قبل على مستوى المسرحية فى عملى الأول (**أخناتون**).

ومن خلال تجربتى مع الدراما.. أستطيع أن أؤكد فروقًا عميقة بين دراما القصيدة.. ودراما العمل المسرحى.. فليس كل من يتفوق فى دراما القصيدة يمكنه أن يكتب دراما المسرحية.. فهما وإن اتفقا فى التسمية يختلفان فى كثير من الملامح..

إن دراما القصيدة لاتقوم فقط على رمز أو أسطورة أو حدث تاريخى قديم يحاول المبدع إعادة صياغته من جديد.. وإنما هى (فعل) و(رد فعل) بين مكونات القصيدة بأسرها.. بين المعجم الشعرى من خلال ألفاظه ومفرداته.. بين الصور بعضها البعض.. بين طول وقصر السطور الشعرية.. بين إيقاعات الموسيقى الشعرية الظاهرة والداخلية.. حتى بين علامات النّبر والتوقف والتعجب.. بين تداعى الأفكار خلال توتر القصيدة. بين الانتقال والانطلاق والعودة إلى مضمون العمل. بين

العنوان وجسم القصيدة.. إنها صراعات لاتنتهى بين مقومات القصيدة نشعر فيها بهذه الدراما عالية النبرة..

أما دراما المسرحية ـ فهى صراعات المواقف والشخصيات ـ وصعوبة كتابتها شعراً تأتى فى التعبير.. فالشاعر هنا مطالب بضرورة إحداث التوازن بين لغة الدراما ولغة الشعر بحيث لاتطغى إحداهما على الأخرى ـ كما كان يحدث فى بعض الأعمال المسرحية لشوقى وعزيز أباظة ـ

بهذا الفهم الخاص والعلمى للدراما.. حاولت أن أعمق تجربتى المسرحية فكتبت ثلاثة أعمال مسرحية هى: أخناتون ـ شهريار ـ الفارس ـ وكما نلاحظ فهى تقدم (نماذج) وليست شخصيات بعينها..

وفى عام ١٩٨٠ أصدرت ديوانى الخامس (الخروج إلى النهر) حاولت فيه أن أؤكد قدرة الإنسان على الحياة فى ظل حضارته وواقعه وتحديه ومصيره.. وفيه أقول:

إننى الآن أزحف للنهر..

فى خطوتى نزوة البدوى القديم

يفجر فى الصحراء الينابيع

أخرج للنهر..

يرتسم الرمل فى شفتىّ

وأمتصّ ملحىَ .. ألثم أرضى

ألصق وجهى بكفىّ

أحمل موتىَّ للنهر.. أنظر مجراه

كيف توقف.. أخطأنا.. وانحرف..!

وتتوالى بعد ذلك دواوين: **السفر والأوسمة** (١٩٨٥) ـ **العطش الاكبر** (١٩٨٦) ـ **الشوق فى مدائن العشق** (١٩٨٧) والذى حصلت به على جائزة الدولة التشجيعية فى الشعر) ثم جمعت دواوينى الثمانية الأولى فى مجلد واحد (١٩٩٢)

ويجد القارئ فى هذا المجلد الثانى خمسة دواوين شعرية هى:

ـ **قراءة فى كتاب الليل** صدر عام ١٩٨٩.

ـ **شظايا** ـ وهى مجموعة من القصائد القصيرة ـ صدر عام ١٩٩٣ وأحسب أن كتابة القصائد القصيرة لايقدر عليها إلا شاعر باح كثيرا.. واكتسب خبرة الشعر.. وله تاريخ فى مجال الإبداع بحيث يهيئ له كل هذا التقاط الفكرة والتعبير عنها دفعة واحدة.

ـ **الزمان العصبىّ** وصدر عام ١٩٩٥.

ـ **الرحيل إلى المدن الساهرة** وصدر عام ١٩٩٧.

ـ **لزوميات** صدر عام ١٩٩٧ ـ وهى تجربة باطنية عصرية.. أعزف من خلالها على أوتار القلب والكون والإنسانية.. وربما اختلفت كثيرا عن تجارب الصوفية الشعرية لدى الشعراء قديما وحديثا.. وسيجد القارئ فيها ما يشبعه وما يتعاطف معه..

وهكذا يستطيع القارئ أن يلمح فى كل ديوان تجربة خاصة تضع لبنة فى المسيرة الشعرية.. ويكتمل بها عقد الإبداع فى وجدانى..

وهى أعمال تجسّد كثيراً من ملامح الواقع الذى يعانى الإحساس بالضياع والبؤس وفقد الحريات واختلال الموازين فى رؤية تمردية ساخطة أحيانا.. وحالمة أحيانا.. لكنها فى كل خطى الانكسار والانطلاق ترسم ملامح تجربتى الشعرية ومواقفى منذ أول خطوة أخطوها فى هذه الساحة حتى اليوم.

ولأنه من الصعب على الشاعر أن يسير وفق خطة مرسومة مسبقة.. فقد تبلورت محاور عالمى الشعرى ـ كما أشار اليها النقاد ـ فى مثلث متكامل أضلاعه هى : الحب والحلم ورؤية الخلاص المتعددة أما الحب.. فهو نابع من داخلى أنا.. ولمقاييسى الخاصة.. وليس بما يرضاه الآخرون... ويبدو أن الجدية فى حياتى قد فرضت علىّ أن أعلو

فوق الصعب.. وأحاول التفوق على نفسى وكبح عواطفى.. فنظرتى إلى المرأة تبدأ من عقلها.. ذكائها.. وإعجابى بها من هذا الموقع يضفى عليها كل جمال.. فأنا لاتأسرنى المرأة الجميلة المحشوة بالفراغ أو القش.. لأنها ذات جمال زائف غبى.. أما المرأة الذكية فلايمكن أن تكون قبيحة.. فالذكاء والثقافة والعقل والحوار المستمر الذى لايهدأ يشكل فى المرأة كل ملامح الجمال والأنوثة التى يطلبها الرجل القوى..

إننى أعترف للمرأة بكيانها والاجتماعى والجمالى معا.. فهى تشاركنى كل شئ.. لهذا فأنا أفضل التعامل مع المرأة التى تجبرنى على احترامها وتقدير مواهبها واستقلالها.. ولا أحب المرأة التى تذوب فى الرجل لمجرد أنها أنثى وهو ذكر!

ربما يندهش البعض من هذا التصور ـ المثالى ـ لكننى ـ حتى فى حالات الفناء العاطفى ـ أتطلع إلى المرأة من خلال هذا التصور.. فأنا أحب أى أقدر وأحترم وأجن.. وأنا أمنح المرأة قبلاتى أو لمساتى تقديراً لما حباها الله من جمال.. وهكذا..!

والعاطفة فى شعرى تبدأ من تلك العلاقة الخاصة الثنائية بين الرجل والمرأة.. ثم سرعان ما تتطور وتتسع وتتأكد حيث أضفى عليها مزيداً من الألوان التى تحتوى كل شئ فى الوجود..

أننى أعنى بالحب هنا.. هذا الإحساس بالحياة.. وليس مجرد شئ هامشى أو مكمل لمفردات الحياة.. ولهذا فالحب عندى هو ذلك السباق بين الطرفين فى العطاء.. إنه لايقبل المساومة.. أو انتظار العطاء.. لأنه يمتلك قدرة لاتحد على هذا العطاء بين الطرفين.. حتى تنعدم بينهما المسافة.. وتسقط الأسوار.. ويصلا معًا إلى مرحلة الغوص والاحتواء والفناء والجنون بلا توقف.. إنه صدق بلاحدود.. صدق فى العطاء..وصدق فى التعبير.. ولهذا فان الوصول إلى جوهر الحب أمر صعب تمامًا..

الحب بهذا الزمن المعصوب

لؤلؤة فى حد السيف

وشهاب يلمع فى العينين

لايشكو الدوران.. ولايشكو الجهد..

أما القصيدة.. فهى دربى الذى يصل بى إلى مشارف الحب:

أسقطتنى القصيدة فى خندق القتل

حتى انتهيت لعينيك

هل للذى استشهد الآن

إن عاشق اليوم ـ فى تصورى ـ يختلف اختلافًا شديدًا عن عاشق الأمس.. فلم تعد المرأة اليوم وراء الخباء.. تلف نفسها بالصمت والغموض.. ويظل العاشق يرهف حواسه لعله يستمع ـ خلسة ـ إلى صوتها أو حفيف ثوبها.. أو تلوح منها ما يفجر فى داخله الخيال.. فيناشد النجوم والقمر والرياح أن تراقب حبيبته وتظل معها.. وتحيطها بالراحة والسعادة .

إن المرأة اليوم أصبحت (عارية) تسير فى الشارع.. تشارك الرجل فى كل شئ.. ولهذا فإن الشاعر لم يعد يقنعه أن يشبهها بالقمر أو يوصى عليها النجوم والرياح.. عليه إذن أن يبحث عن شئ آخر كامن.. لاتعتريه الحياة العصرية.. من هنا كان عشقى للمرأة يبدأ من هذا الشئ الذى أبحث عنه حتى أجده.. وأظل أعمق نظرتى إليه حتى محور يصبح عالمى وجنونى.. واحتراقى.. وقدرى..

ويتصل بهذا المحور.. الحلم.. فالشعراء كلهم حالمون مهما ادعوا الواقعية .. والقصيدة أول أحلام الشاعر.. وشاعر بلاحلم .. ناظم جاف جامد مطرود من ملكوت الشعر.. لكن حلم الشاعر يختلف عن حلم العالم.. فحلم الشاعر لون من التمنى الذاتى الذى يسقطه على

الوجود.. أما حلم العالم فقد خطط له من قبل لكى يتحول إلى حقيقة.. وإلا أخفق فى حلمه.. ولهذا فإن أحلام الشعراء كثيراً ما تكون إما من الأحلام الخضراء.. أو الأحلام المستحيلة!

أما المحور الثالث فيكمل شكل المثلث.. وربما يمثل قاعدته أحيانا.. وهو (رؤية الخلاص المتعددة) وينطلق حيث يعجز الحلم أو يصل إلى طريق مسدود.. إن هذه الرؤية تتفجر بما يشبه التوقع فى النهايات المفتوحة.. وترتبط ليس بالخلاص الشخصى وإنما هى أصلاً تبدأ من الخلاص الجماعى ـ باعتبار الشاعر واحداً من هذا المجموع .

وتتعدد فى أشعارى رؤى الخلاص والتى تبدأ من الهروب إلى الحب.. حتى آخر الطرف الآخر.. الهروب إلى الموت. وبينهما تتعدد (الخلاصات) والتى تتكىء دائمًا على تلك المتغيرات ومفردات الحياة التى تواجهنى كل يوم وكل ساعة وكل دقيقة.

أما علاقتى بالنقاد.. فقد بدأت منذ أول قصيدة لى (١٩٦٤).. وقد كتب عنى وناقشنى كثيرون أذكر منهم: د. عبدالقادر القط ـ صلاح عبدالصبور. د. عز الدين اسماعيل. د. أحمد كمال زكى ـ صلاح فضل ـ د. عبده بدوى ـ د. شوقى ضيف ـ د. عبدالعزيز حموده ـ د.محمد عنانى ـ د. ماهر شفيق فريد ـ د. صبرى حافظ ـ أنيس

منصور ـ د. حامد أبو أحمد ـ د. عبدالعزيز شرف ـ د. مصرى حنـــورة ـ د. محمد حسن عبدالله ـ عبدالعال الحمامصى ـ د. يوسف نوفل ـ د. أنس داود ـ د.حسين على محـمـد ـ د. صابر عبدالدايم ـ د. محمد زكريا عنانى ـ د. سعد أبو الرضا ـ بدر توفيق ـ على عبدالفتاح ـ د.محمد عبدالمطلب د. فوزى عيس ـ د. احمد زلط ـ فوزى خضر وغيرهم كثير..

ولأن تجربة الشعر الحديث تمتلك القدرة على استشراف آفاق لاتحد ولاتعد... منها المسرحية مثلا.. فقد حاولت فتح أفق جديد للطفل من خلال الشعر.. فكتبت المسرحية الشعرية للأطفال مستمدة من تراثنا العريق.. بعيداً عن القوالب الجاهزة المستوردة الغريبة عن عالم الطفل العربى.. وأنجزت أكثر من خمس وثلاثين مسرحية كما جربت لهم أيضا القصيدة الشعرية.

وقبل أن أودع القارئ بعد هذا الطواف السريع .. أود أن أصارحه بقلقى الشديد على مستقبل الشعر العربى بعد أن سادت الساحة ـ تحت مسمى التجريب ـ تلك البدع التى تبناها بعض شعراء الجيل الجديد.. وبعيداً عن التعصب لتيار معين.. أو مدرسة فنية ما.. فان المعروف أن الشاعر ليس ناقداً أو منظّرا .. فاذا جمع الطرفين.. فلابد أن

يكون هذا الجمع على حساب أحدهما.. وغالبا ما يكون على حساب الشعر أو الإبداع..

وهذا ما حدث لهؤلاء الأصدقاء الجدد.. لقد نظَّروا لأنفسهم - وليس لإبداعهم الذى يطرحونه على القارئ - وهم فى تنظيرهم هذا - وليس غيرهم - المبدعون الوحيدون .. والمجربون .. والمجددون ثم ها نحن نقرأ لهم وننتظر أن نرى دليلاً واحداً على هذا التنظير بلا جدوى.

إن هناك فرقًا كثيراً بين أن يكون التجديد وسيلة أو يكون هدفًا فى حد ذاته.. كما أن هناك فارقًا بين صياغة الحقائق والمعاجم اللغوية بلامعنى.. أو ما يسمى بالنظم العلمى (كألفية ابن مالك أو قصيدة ابن سينا فى الطب أو الشعر المشجر والهندسى فى العصرين المملوكى والعثمانى) - وبين الشعر الذى يعبر عن عمق وجوهر الوجود فنياً.

إن ساحة الشعر اليوم تعانى خللاً شديداً.. وبدعًا تطغى على الإبداع .. ووجعًا بلا دواء ومهاترات بلا طائل لاتليق بالشعر والشعراء .. تتيح لأعداء الشعر أن يصرخوا: هذا عصر الرواية!

وحسبنا أن ننتهى الآن إلى أن تجربة الشاعر هى فى الأساس تجربة حياة.. فالشعر حياة وحلم وخلاص وقدرة على العطاء..

وقد حاولت كل هذا - حتى الآن. وحاولت الإخلاص إلى هذا الجذب الموجع الممتع - الشعر - بكل ما أملك من طاقة وإيمان ..

(قاعة استقبال يجتمع فيه المتحذلقون من حثالة

المجتمع بقصد الثرثرة والمهاترة

إنما الشعر أعظم شأناً من هذا..)

فليس الشعر - كما يقول بيتوفى

وقد حاولت طيلة صحبتى للشعر أن أؤكد هذا!!

أحمد سويلم

قراءة
في كتاب الليل

«ما أتعَسنا نحن الشعراء

فقراءَ إذا صحونا

آلهةً إذا غفونا»

أبو القاسم الفردوسى

لو!

ـ لو أملكُ أن أنزِعَ

نفسى من أنيابِ الزمنِ الوحشية . .

ـ لو أملك أن تمتدَّ اللحظةُ حتى تصبحَ زمنا . .

أن تمتدَّ الخطوةُ

حتى تصبحَ دربا . .

أن تتوقف دوراتُ الأرض

تكفَّ الشمسُ عن السَّعىِ المحموم

أن تأتينى أيامى القادمةُ ـ الآن ـ

أنسجَ منها عمرى

أصنعَ منها قدرى

أجعلَها أرضًا تخصبُ
بحرًا يأتى بالخير
يَنبوعًا للحبِ المتجددِ فى الأعين..
- لو أملكُ
لو أملك أن أعزفَ لحنًا عُلويًا فى أرضٍ عذراء
أن أُسْمِعَ صخَرَ الأرضِ تراتيلَ غناء
- لو أملك
لكنَّ القدرَ العاتى يرصُدنى بالعينين القاتلتين
يأبى أن ينموَ عُشْبى شجرا
أو يصبحَ لحنى عشقًا ممتدا
أو يختصرَ الزمنَ بهذى اللحظة!!

لحظة صمت

ـ رائعٌ أن تكون على أُهبة الحب
ثم يجيئُك نَسرًا يعانى الظمأ . .
ـ رائع أن تظلَّ سُطورًا من الحُلم
ثم تصيرُ الحروف شفاها
تصيرُ عيونا
تصيرُ قلوبا
وتملكُ من موجك المبتدأ . .
ـ رؤيتى اتسعت فى امتداد ذراعىْ
يالامتدادَ الرؤى . . وانهمارَ المدَد
وتضيقُ العبارةُ . .

أين احتمالُ الحروفِ . . وفيم البدَدْ
والذى كان يأسِرُنى فى الزمانِ القديم
تجدَّدَ بين يدىِ . . واتقدْ . .

. . . .

ـ سيدٌ وجعى . . وعميق
ومفترشٌ لغتى . . طرقاتٍ من الجمر
فيها تسكّعتُ
فيها كَبوْتّ
ولكننى الآن أعرفُ كم تتقاطعُ فى ناظرىَّ
المسافاتُ
كم يزحفُ الصمتُ يتركُ فى القلبِ نافلةً
فى غياب التواريخِ . . قافلةً . .
ـ مدنٌ . . قد تغيب
وأخرى تقومُ جزائر . .
لكنَّ ما نغرسُ الآن ليست كهذى المدائن

ـ ياأيها اليمُ . . فتِّتْ كما شئتَ موجَك
كلُّ الرذاذ الذى يسقط الآن فوق الوجوه
طيورٌ من العشق . .
يا أيها اليم . . هاتِ المفاتيح
كلُ المغاليقِ توشِكُ أن تصدأ الآن
لن تجدَ اليوم من يمنحُ القلبَ . . والعينَ . . والصلواتِ
استوِ الآن فوق الأكف
حمامًا لأحْلى الرسائل . . .
نحنُ إليكَ انتماءٌ
ونحن احتراقٌ
ونحن اشتهاءٌ على الموج
ـ رائعٌ وجعُ العاشقين
نتطهُر فيه . . فننمو نخيلاً يطولُ . . يطول
يشقُّ السماءَ جناحين . .
وردًا هناك . . وتعويذةً فى العيونِ هناك

وبينهما الوجهُ يورقُ صَفصافةً
والمسافاتُ لاتتعدّى انفراجةَ كف
وفاصلةُ الأرضِ فى القلب . .
ـ يا أيها اليم . .
صوتُ القصيدةِ يبدأُ من لحظةِ الصمت
والنورُ من بقعةِ الظل
كيف تؤرخُ هذا الزمانَ الجديد
ولاتتوخّى الحقيقةَ والصدق . .
إنا ظللنا على أهبة الحب . .
حتى استوى الحبُ فى القلبِ ساريةً
أيها اليمُ . . جُدْ باحتوائك
أنا أتيناك من زمنِ المستحيل .

٢٧ ـ ١٠ ـ ١٩٨٨

الملكة

ـ مملكتى العشقُ.. وأنتِ التيجانُ الورديةُ.. أنتِ الشاراتُ.. الأوسمةُ.. وأنت الملكة..

ـ عندكِ ذاكرةُ الماضى تسقطُ.. كى تتجدّدَ فى شطيكِ سطورًا من ألقٍ.. خطوًا ممتدًا.. نقشًا.. جمرًا لايهدأ.. مطرًا يغسلُنى.. تأتى غيمتُه من عينيكِ.. يطهِّرُنى.. ويعطِّرُنى.. ويُلقِّنُنى كلَّ طقوسِ الحبِ.. ويُفسِحُ لى فى الآفاقِ.. فيلقانى مَلَكٌ يحملُنى فوق جناحيْه من صحراءِ الحيرةِ.. يسْألُنى عن وردتكِ الأُولى..

ـ أنزِعُها من صدرى.. تتفتحُ فى هذا الألقِ العُلوىِّ.. أطوفُ به.. أتلاشَى.. أشعر بالرِعدةِ.. أسألُ عنكِ..

فيـأتينى صوتُكِ عـبرَ الريح يُسَـامِرُنى. . أعـبُر لحظتـهَا الصخـرَ. . البحـرَ. . الأسلاكَ القاتلةَ. . وكـتبَ الموتى الأحياء. . يُعـاودُنى الصوتُ. . فأعبـرُ لاتوقفنى أوجاعُ القدمـين. . ولاتكسُرنى الرعـشةُ. . يقتـربُ الصوتُ. . فـأصعـدهُ سـبـبًا سـبـبًا. . أغـزوُ الأسـوارَ. . ينازلُنى صوتُكِ. . أبتلعُ النارَ. . فـأخترقُ الكَون بلا ريحٍ عـاتيةٍ حـتى ألقـاكِ. . وبين يدى وردتُك الأولى أرشَـقُهـا فى صدركْ. .

ـ فُتِـحت أبوابُ العمـرِ القادمِ بين يديكِ. . وفُـتحت كلُّ بسـاتينِ الورد. . وذقتُ حـلاوةَ هذا الشـهـدِ النارىِّ. . وعـافت نفـسى كلَّ بسـاتيـنِ الأرضِ الذابلة وألصـقتُ شفاهى فى صدرك. . فانطلقتْ فى آفـاقِ الحُلم عصافيرٌ تشدُو. . وتدقُّ طبولَ الفَرح. . وتعزفُ أنغامًا تُشعلُ فى القلبِ نخيلاً خِصبًا. . أنهارًا. . ونقوشًا خالدةً. . وتجيء من الغيبِ ملائكةُ اللّهِ. . فيهُرب من ساحتِها الشيطانُ. .

وتنأى الجنياتُ.. ويأوى الملاحُون إلى أرصفةِ البَحْر.!
ـ هذا وقتُ لقائك يا مولاتى.. فى يدك عصاكِ القدسيةُ..
تضــربُ قلبَ الماءِ فـينشقُّ.. وتهـمِسُ للعفـريتِ ليـأتىَ
بالأخبار.. فـيرحلُ.. يرحلُ.. يرجعُ مشتـعلاً غيظًا..
فتنادين علىَّ.. أجـيئكُ من بين غبارِ السـفرِ.. ومن بين
الأزمنةِ الراحلةِ.. ومن بين الوجع المتوقد.. وأشدُو لحنَ
الدفءِ.. وأسـكنُ عــــينـيكَ.. وأُغلقُ هـدبيْكِ عـلى
جـسدِى.. لا أبغى أن أَشْـهدَ إلا هذا السِّـرَّ المتجـددَ..
أسترخى فـوق العشبِ الظامئِ.. يمتـد جوارى نهرُكِ..
أتفيأُ ظلَّ نخيلك.. أنظرُ آفاقى فى عينيْك الطيبتين..
ـ مملكتى أنتِ
وأنت الملكةُ ـ فاتنةً ـ تسْقِينَ السِّحرَ
وتأوين القلبَ.
وتأتين بكل الحب!.

١٨ ـ ١١ ـ ١٩٨٨

اليمامة

ـ ساهرٌ . . لايَقَر
والشّغافُ الذى قيَّدَ ا لجُرحَ
ضاقَ به . . وانصهْر . .
هل تفجَّر من نبعِهِ النهرُ . .
أم صارَ نافورةً فى الحجرْ . .
ـ أفتح الآن مملكتى
فترفرفُ فوقى يمامة . .
وتحطُّ على كتفىَّ . . تؤدى صلاةَ السَّحَرْ
ثم تفتح بابًا إلى القلب
نهرًا إلى الدم . .
صفصافةً لحقول الشَّذا . . والسفرْ . .

ـ خفقةٌ . . خفقةٌ

دثرتنى اليمامةُ . .

تُطلق سِرْبَ الحروفِ الذى لم تنلْه الرياحُ

تعيدُ القراءةَ فى دفترِ العشقْ . .

أىُّ هذا الغياب الحضور

وأى صدىً أستعيدْ . .

ـ يقظةٌ . . يقظةٌ

تستحثُّ خطاىَ . . وتختصرُ العمر

تُخمد زوبعةً فى السؤال

وتُسكتُ صوتَ الظمأ

ـ إنه النهر . .

(يمكن أن تَنْزِلَ النَهر ما شئت)

نهرُكَ . . لم يجْرِ حتى ضربتَ عصاكَ

على الصخر . .

ـ يا شغفَ القلب والعين

أمسِى أشيِّعُهَ الآن

حين هبطتِ عليَّ . . تُسرِّين لى . .
وتروِّين عينيَّ نورا
تهزِّين نخلَ التراتيل . .
ـ هذا دمى . . دفقةً . . دفقةً . .
ساومتْنى عليه الجوارحُ
كادت تعتِّقُه فى المناقير
هذا دمى . .
حملته البراكينُ جمرا
تلته الرياحُ . . شذا
أسقطتْه السماءُ كتابا
. . . .
ضحكت طفلةُ الحبِ بين ضلوعى :
ـ إننى أتجدَّدُ فيك
فلا وقت أن تتذكرَ عمرَ الأسى
واقتفاءَ الزوابعِ . . ذاكرة الوجد
ـ فجأة . . فجأة . .

نزعتنى اليمامةُ من وجعِ المستحيلِ
وألقت على القلبِ ماءَ الفصولِ
توحدتُ.. ذبتُ بهذا الفَنَاءِ الجميل
ـ ساهرٌ.. لايقَر..
ساحةُ القلبِ مملكةٌ أنتِ فيها الزمانُ الندى
استريحى على كتفىَّ
اسمعى خفقَةَ الحب تنتفِضُ الآن مثلك..
تسكنُ عُشًا بعيدًا عن الأرضِ
نحن بدأنا الرحيلَ معا.. سهرًا بسهر
واحتكامًا لعينيك
والشعرِ
والعشقِ
والسنبلاتِ
وكلِ الفصول.!

قراءة فى كتاب الليل

ـ ممتلىءٌ شعرا

محتدمٌ . . جمرا

أقتربُ إلى شعلتكِ المتوهجةِ

فتجذبُنى . .

تدعونى أن أقبضَها . .

أن أعصرَها . .

أن أقذفَها فى الكون

فتضىءُ الليلَ . . وتمنحُنى سحرا . .

ـ أحيانا . .

تأسرُنى . . وتقيِّدنُى . . تُلقينى فى البحر

لعل الموج
يطفئُنى زمنا . .
ـ أحيانا . .
أقبضُها . . ألصَقُها فى عينىّ
أُغلق هدبىَّ عليها . .
أعبدُ فيها السِّرا . .
ـ عيناكِ تحومان بليلِ الحب
وتحطَّان على وجهى . .
أصلُ عيونى بعيونكِ
أنزِعُ من عينيك أساها
من قلبكِ أستلُّ الآها
وأجردُ نفسى من نزواتِ الأرضِ
ووجعِ الليلِ
أحلِّقُ فى ملكوتكِ نَسْرا
يبنى ملكةً لك
يقبضُ من نخلةِ دجلةَ رُطَبا

يجعله يمتدُّ إليكِ . . سببًا
يختصرُ الزمنَ
ويغزلُ كلَّ مسافاتِ الأرض
ويصل النهرَ بماء النيل . .
تطفو فى هذا اليم جزائرُ حلمٍ خضراء
أُصلحها . . وأقصُّ العشبَ المتوحِّش إذ ينبتُ فيها
أبنى معكِ عليها كوخًا لاثنين . .
ـ هل يعرفَ أحدٌ منا ماذا خلف البيْن
وأيْن . .
أين نلاقى القدرَ يداعبُنا ويصادقنا
ومتى يُسقط ثمرًا فى الكفين
ومتى يصْفو ألقًا فى العينين
ـ هذا ما يملؤُنى شعرا
ويفتننى جمرا! .

٢٧ ـ ١١ ـ ١٩٨٨

لما حررنى الشعر

لا أكتمُكم
كان خجولاً يهرُبُ من ظله
كان يسيرُ جِوارَ الحائطِ ينظُر فى قدميْه
حينًا . . يُفلت من أعمدةِ النور
وحينًا . . تُدمى رأسَه . .
كان يمُرُّ على المقهى يسْعَلُ من أدخنةِ الليل
كان يرى العشاقَ . . يديُر لهم ظهره
وكأنَّ صديقى عند الله . .
نبىٌّ يحمل أسْفارَ الحكمة
. . . .

لا أكتمكم..

كان شقيًا.. حتى طوَّقه الشِّعر

وكان أسيرًا.. حتى حرَّره الشعر

....

وانتصب الشعرُ بقلبى شجرا

يثمرُ كلَّ صباح..

أحببتُ به..

وتنورت به

وهبطتُ به بين صعاليك العصر

قالت لى مرة:

ـ غيِّرْ لونَكَ واسترخِ على عرش الكلمات

وادخل بين أزقتِها.. وامرحْ فى الساحات

لكنى أسقطتُ العاشقةَ العصريةَ من قائمتى...

وكتبتُ لها:

دونكِ غيرى.. يمتلك القدرة

إنى أوثِرُ أن أحترقَ بجمرِ الكلمات
وأودِّعَ كلَّ المعشوقات
إلا واحدةً تحملُ قنديلى فى الطرقات
تطفؤُه الريحُ . . فتشعلُه مرات
ينكسرُ . . فتصلحُه مرات . .
انتزعت عاشقتى العصريةُ قبضتَها القفازية
لكمتْنى فى وجهى
صاحت: لن يمنحَكَ الشعرُ جناحَ بعوضة
وعلى أرصفةِ الليل
أجنحةٌ ملقاةُ . . ما شئتَ تخيَّرْ منها
فتحلقْ فوق البشر . . وفوق الأبراج
قلت : وماذا بعد
قالت: لو أنك تُنصِتُ لى
لانفتحت أبوابُ الساحات
وأحاطتكَ الأوجهُ والزينات

وغدت كلماتُكَ فى عُلب الليل

أحلامًا من ياقوت . .

. . . .

ـ لاأكتمكم . .

لما طوَّقنى الشِّعر

ولما حرَّرنى الشعر

ولما أنْطقنى الشعر .

غيَّر جلدى الأملسَ . . عصيانًا للمألوف

وجراحًا لا تبرأُ أبدا

وبحارًا . . عاصفةً من عشق

كيف إذن أُمسى عبدا

تتقاذُفه السادةُ

والألوان . .

١٠ ـ ١ ـ ١٩٨٨

الخطأ

ـ مرةً . .

غاب عن خاطرى الشعر

وظننتُ الشروقَ انطفأ

وسمعت صريرَ الحروفِ يزلزلنى . .

ويسوق إلىّ النبأ .

ـ إن عينَكَ ليستْ من الصقر

قلبَك ليس من الحجر

خطوَك فوق السفوحِ انكفأ

قلت : ما الذنبُ ذنبيَ

إنى تأبطتُ عصرًا من الحزنِ

عصرًا من الفقرِ
عصرًا من الموتْ
ما الذى يفعلُ الشعرُ لو يجترئْ
قيل: لو تصمتُ الآن
إنك فى خبرٍ قد يطولُ.. يطولُ..
بلا مُبتدأ..

....

- هل أرى الآن قدْرَ الخطأْ
(ربما قد أتينا خطأ!)
ربما العجزُ سدَّ علينا الدروب
فغفَلنا عن الحب
عن حكمةِ العصر
عن لغةِ الشعر
وعلانا الصدأ..
أىُّ شئ تُرى قد يعيدُ لنا الوجه

أم أن تعويذة.. قد تُبدِّلُ عصرًا بعصر
فيجرفنا الموجُ للمبتدأ..
ـ ما الذى يتسلَّل يروى الظمأ
الصوابُ الذى أثقلته الحظى
أم جنونُ الخطأ..

٢٨ ـ ١٠ ـ ١٩٨٦

ريهام

[فى العام السادس عشر]

فى طرفةِ عين
ملأت ريهامُ سَوَادَ العين
فى طرفةِ عينٍ أخرى
حضَنَتْ حُلم الكون . .
فى العام السادس عشر
قبضت بين يديْها قوسَيْن . .
ـ نضجت ريهام . . رزغردَ فى شفتيْها السحر ـ
وتصارعَ فيها الماضى والقادم
أثمرَ فيها العمر . .
ـ ما عادت ريهامُ صغيرة

لكن . .

ما زالت عندى فى عُمر الزهر

أرشَفُها كلَّ صباحٍ . . كلَّ مساء

فوق شفاهى . .

ألصقُها فى عمقِ الصدر . .

وأغنِّيها أجملَ ما أكتبُ من شعر . .

ـ ملأت ريهامُ سوَيْداءَ القلب

واستولت فيه على شلالِ الحب . .

وانطلقت أسئلةٌ حيرى

تتقاطر من شفتيها . . كالدر

فأحضُن دهشتَها . . وأضاحكُها

أُنسيها الأسئلةَ الحائرة . .

وقلبى يشْقى بالجمر . .

ـ ريهامُ تُفجِّر فى أعماقِ الصخر . .

تنُبشُ أشجانَ العمر .

لكنْ.. عيناها لى نافذةٌ تحلُو فيها الشمس
ويصفُو فيها البدر..
أنظر فيها العالم..
أقرأ فيها العمرَ القادم
أُسقطُ فيها بعضَ الأسوار
وأفَسِّرُ فيها بعضَ الأسرار
- عيناها لى قدرٌ..
يهتكُ فى داخلىَ السِّرْ
أرْضى أن أخْسَرَ فيه كلَّ العالم
أربحَ فيه بسمتها النورانية
أرضى أن أخسرَ فيه كلَّ الأحلام
وأربحَ فرحتَها الطِفْلية
أرسُمَ كلَّ خرائطِ خطْوى القادم
لكنْ يكفينى أن ترسم لى بأناملها
بعضَ خطوطٍ ذهبية

نضَجت ريهامُ . . وزغرَد فى شفتيْها السحر
نضجت . . وامتلكتْ عالَمَهَا الحر
ـ كتبًا . . أوراقًا . . أثوابًا . . أسرارًا من عطر . .
وحديثًا يأسُرِ أو يعسُرُ
يحمل للقلبِ بكارتَه الدافئةَ
بليلٍ قرّ . .
ـ نضجت . . فبماذا أوُصيها الآن
وأنا أخشى أن تنظر لى . . وكأنى من أشباح رماد الماضى
ـ أحيا مازلتُ بسوْطِ الجلادِ . . وصوتِ القاضى . .
هى تبغى لو يتغيُر جلدى . .
لويتبدلُ لونُ الخوفِ عليها فى وجهى
لو أمنحهُا حريةَ أن تحيا
أن تخطئَ
أن تدرك
حريةَ أن تبكىَ . . أن تضحك
. . . .

ـ باحت عيناها لى: لاتخْشَى يا أبت . .
هذا زمنٌ مختلف عنكم
يرضى أن نلبَس فيه غير الجلد
أن تصبحَ كلُّ الخطوات إليهِ مثلَ المد
. . . .
ـ ريهام تفجُر فى أعماقى الصخر
ما عادت ريهامُ صغيرة
صارت تطلقُ فى أعماقِى أفراحَ العمر . . .

٢٦ ـ ٣ ـ ١٩٨٨

أنتِ

- إن لم تكونى أنتْ
تمزِّقين عند كلِّ مفرقٍ خمارَ الصمتْ
وتُشرقينَ كلَّ ليلةٍ
بقصةٍ جديدةٍ.. مما اشتهيتْ
إن لم تكونى أنتْ
تناجزينَ الموتْ..
وتحملين شعلةَ الدفءِ إذا شكَوتْ
لكنتُ منذ اللحظةِ الأولى.. انزويتْ
ونلتِ منى المقتْ!
....

طغيان

- طاغٍ فى قلبى نأيُك
طاغٍ صمتُكِ..
صوتُكِ..
ليُلك..
شمسُكَ..
لا أبغى جبلاً يعصِمُنى منك
أو أحدًا يشغَلُنى عنك
فأنا أتحررُ فى طغيانك!
....

لو أن..

ـ لو أن الريحَ بِساطٌ يهبطُ بين يديك
لو أن الشجَرَ المتسكِّعَ فى شطِ الأنهار
يتناقلُ أشعارِى حتى أذنيْك
لو أن الشمسَ استرختْ فى دَعةٍ
تلثمُ هُدُبَيْك
(لانعدمَ الزمنُ . .
وضاقت كلُّ مسافاتِ الأشواق!)
. . . .

خروج

حين تجفُّ المدنُ . .
وتحتبسُ الريحُ وراءَ جدار
تتسلَّلُ من بين شقوقِ النار
أفاعى الزمنِ المنهار
أتمنى ساعتَها أن يتقشَّر جلدى
أن يتناثَر . . جَسَدى
أخرجُ من دائرةِ الأرض
ومن ذاكرةِ الإبصار!
. . . .

طير

ـ فى الليل أشاعُوا عنك . .
(نامت فى أحضانِ غريب
غابت . .
وتخطَّفَها الطيُر الجارح)
حين بكَرْنا . . وتساءلنا
كانت أيدينا داميةً
كنا الطيرَ الجارح . . !
. . . .
. . . .

نوق النعمان

ـ حين قضوا أن أغْرُبَ عنهم
وأجيءَ بنُوقِ النُعمان
كان الزمنُ بقبضةِ كفيِّ
ومسافاتُ الأرضِ أمامي. . خُطوة
لكني لما عدتُ إليك
انفرطَ الزمنُ وحوشًا جائعةً
تأكلُ نوقي
وتخطُّ الليلَ على عينيّ. !
. . . .

القادم

ـ أقف على ناصيةِ الليلِ . .
الناسُ هنا مشغُوفُون . . ومهمومون
منهم من خاصرَ محبوبتَه . . يغزلُ عرشًا
فى أوديةِ العشق . .
منهم من أعْطَى ظهرًا للناس . .
يغوصُ خلالَ زجاجِ المعروضات
يتحسَّسُ حافظةَ نقوده . .
ويقطِّبْ جبهتَه . . ويسيُر بعيدا!
منهم من ينظرُ فى قدميْه كمن يبحثُ عن شيءٍ ضاع
منهم من يسرعُ . .

من يبطئُ . .

من يهذى . .

من يترنح . .

لكنى ـ وحدى ـ

أقف على ناصيةِ الليل .

تشغَلُنى أسئلةٌ تأتينى من ضوضاءِ المارة :

(لماذا يقهرُنى الليُل . . ويبقينى أحرُسُ ناصيتَه

أرقبُ فى سُخْط . . حُلمَ العشاقِ

وفرحَ العشاق

ولايأتينى القادمُ فى الغد . !)

الحلم

ـ أتسمَّعُ صوتَكِ موسيقى بين الأصوات
أتحسّسُه..
أَلمِسُ قسماتِه
أتشمَّمُ عطره..
(حين تجئُ الريحُ بأصواتٍ خادعة
أُعطيها ظهْرى..
لا أسمح أن تغزُوَنى
حتى يأتينَى صوتُكِ فى عربات الشوق
فتطلُع منه شمسُ الحلمِ القادم!)
....

المستحيل

ـ حلمًا ألقاكِ
وقفتًا ممتدًا . . نتعانق
ذاكرةً لاتهدأُ ـ حين يفرِّقُنا الليل ـ
(أيُّ خطًى ساخطةٍ
يمكن أن تسحقَنا بعدُ . !؟)
. . . .

أوسمتي

ـ أرحلُ فى مدنِ العالمَ
فى ذاكرةِ الأشجار
وذاكرة الآبار
وأرحلُ بين متونِ الأسرار
(لكنى.. لا أجنى أوسِمَتى إلا فى عينيْك!)

اسمك

ـ كان اسمُكِ منقوشًا فوقَ الصخر
حتى غطَّاهُ غبارُ الأيام
فسَمَّوْكِ ملايينَ الأسماء
لكن اسمَكِ فى بؤبؤِ عينى محفورًا ـ مازال ـ
لم يسْقِطْه غبارُ الأيام
وأكنِّى عنه بملايينِ الأسماء . .
. . . .

البحر

قالوا: إذا رأيتَ البحْر

سبِّح بموجهِ واسترخِ..

ـ عيناكَ إلى السماء.

يمنحْكَ ما لم يمنح الطيور..

لكنما قلبى معلَّقٌ بغيرِ البحر..

إذا قطعتُ وصلَهُ.. جفَّتْ دماؤُه

تَقَصَّفَتْ أعوادُه

وليس عند البحرِ.. ما يصلحُ ما انكسر!

....

زماننا

ـ الدراويشُ عادوا يجيدُون صُنْعَ الحِكَم
الدراويشُ يقتتلونَ على الأنصِبَة . !
أيعودُ زمانُ الكِهانة ثانيةً
أين فينا النبيُّ الذى . . . . !
(قد مضى زمنُ الأنبياء
واستوى فوق أحلامِنا الأدعياء
وارتضْينا السأم . !)
. . . .

الدائرة

ـ فى كل صباح . . تُنهى لُعْبتَها
تَسْكُتُ عن بوحِ الليل . .
تقرعُ رأسي . . يتوقَّفْ . .
تسألنى نفس الأسئلةِ الملتوية
ويسائلنى أمْسي . . وغدى . . ويسائلنى أطفالى
(وعلى باب الليلِ القادمِ
غازٍ . . آخر . !)
. . . .

متى..؟

ـ الصلاةُ على مَفْرِقِ الطرقات
للذين يجيئون بالحب . .
أو للذين يجيئون بالبغض . .
كلُّ شئ على مفرِق الطرقات
غارقٌ فى الطقوسِ بلا تفرقة
والخُطى حولَه . . مُرْهَقَة
ـ فمتى يُنزل الوجهُ أصباغَه
ومتى تسْقُط الأقنعة . !

الموت

يفجؤنى شبحٌ ليلىٌّ
أَثْقَلُ من هَمِّى . . ـ أحسبَهُ الموت ـ
آه . . لا أتعجلُ ضيْفى
فأنا أغزلُ مازلتُ خيوطى
وأُعَلِّقُها فوق جدارِ الصمت
فيكونُ الشعر !
. . . .

متهم

متهمٌ بالشعرِ
ومتهمٌ بالعِشْق
ومتهم بسَعِير الكلمة . .
ـ ياكلَّ قضاةِ العصر
معترفٌ بالذنبِ أنا . .
فإذا راقَ لكُم قتلى
فالتهمةُ باقيةٌ لزمانٍ آخر . . !
. . . .

تجربة

ـ كان حين انطلقْنا معا

كان مثلىَ يعشَقُها . . ويطيلُ التعبد

كان للنهرِ فى القلب مجراه

للنخل . . مثواه

كانت الأرضُ إيوانَ مسجد . .

ـ كان حين انطلقنا معًا . . أصدقاء

نتقاسمُ وُدَّ الجميلاتِ فى قاعةِ الدرس

أكتبُ فيهنَّ شعرى

وأرسُم أحلامَهن على صفحةِ النهر

ـ لكنَّه لم يكنْ شاعرا ـ

ـ أتذكُر يومًا أتى صاحبى واستدانَ قصيدةَ حب
أدركتْها حبيبتُه . . هجرتْه
وأقصَتْهُ عن جنةِ الحبِ مثلَ الشياطين
(من يومها . .
وصديقىَ متشحٌ لحيةً ليكفِّرَ عن ذنبهِ المستحيل!)
. . . .
ـ كان مثلىَ حين انطلقنا
كان يبنى قصورًا من الرملِ
كان يفاخرُ بالنيلِ ـ أجملَ ما فجّرَ اللّهُ فى الأرض ـ
كانت الشمس فوق الحقول
تشقُّ لنا طرقاتِ النماءِ . . غدا . .
كان يسعدُ حين يجادلُ حول أصالةِ هذا الوطن . .
ـ كنتُ مختلفًا عنه . .
لكننا . . نتعانقُ فى آخرِ الشوط
نضحك فى آخرِ الشوط

نُلقى على النهرِ أثقالنا . .
ثم نمضى معا . . .
. . . .
ـ مرةً . . جاءنى ساخطا
حاملاً فى يديْه جَوَازَ سَفر
يومها . . كادَ قلبى يكُفُّ عن الخفْق
تمنيتُ لو شُقَّتِ الأرضُ . . لو بلعتْنا معا . .
ـ (عهدُنا يا صديقى
نعيشُ على ضِفةَ النهر
نُلقى بأثقالنا . . نتحملُ هذا الضجَرَ . .
فلماذا السَّفر؟ . .)
قال : صوتُ الدنانير فى داخلى ينتصر
نهُرنا يا صديقىَ كان يَفيضُ على الضفتين
ما الذى أمسَك النهرَ فاصفرَّ وجهُ السماء . .
قلت: للنهرِ مثلَ الجواد
كبوةٌ . . ويعود

صاح: إنى أسافرُ حتى يعود. !

قلت: تهرُبُ من ساحةِ الصبر

أين عهودُ الصِّبا بيننا

أين ما كنتَ فيه تجادلُ حولَ الوطن؟.

قال: كنا نخادعُ أنفسَنا.. ونثرثُر فى الطرقات.. ونهتفُ فى قاعـةِ الدرسِ.. كنا صغـارًا.. نُلَقَّنُ حبًا عـقيـمًا.. ونُسألُ فـيه.. ونفـرغُهُ فى الدفـاترِ. نُلقيـه فى آخرِ العامِ فى عرباتِ القُمـامةِ.. ثم نعودُ إليه.. نلوِّنُهُ.. ونزيِّنُهُ.. ثم نُسأل فيه.. ونفرغُه. نتخلصُ منه ونُمنحُ فى آخر الشوطِ صكَّ العبورِ إلى سنةٍ قادمة!..

قلت: والحزنُ يعصرُنى:

ربما العيبُ فينا..

صاح مخترقًا أضلعى:

ـ ليت من علَّمُونا أحبُّوا من القلب

كنا منحنا المحبةَ صادقةً.. والفؤاد

ليتهم ينتحُون قليلاً . . فيندفقُ النهرُ
يغسِلُ أعماقَنا . . وتجفِّفُها الشمس
حتى نفيقَ على الحُلِم والحزنِ والوجعِ السرمدى . .
إننى الآن أرحلُ
ألَبسُ أرديةَ الزاهدين
وألَبسُ أقنعةَ المارقين
فلكل لباسٍ . . ثَمَنْ . . !

. . . .

ـ لم أعد قادرًا أن أعيدَ صديقى إلى ضِفِة النهر
تلقَّيتُ منه خطابًا أخيرًا يقول:
ـ ياصديقى
إذا كنتَ مازلتَ تحفظُ بعضَ عهودى
فأنا قد نسِيت
وإذا شئتَ . . ألقيتَها الآنَ فى النهر
كى تستريح . . !

٦ ـ ٢ ـ ١٩٨٦

طقوس زم الفم

ـ بعينىَّ حين يفاجئُنى الليلُ . . أسئلةٌ
وبكفىَّ رائحةٌ لغبارِ النهارِ
وحبرِ الجرائدِ
والكتبِ الجاهلية . .
والشوارعُ فى داخلى الآن نهرٌ كثيرُ الروافد
(إن يقبل الليلُ . . يطوِ إلى الصمتِ أطرافَه
فتزيدُ البلية . .)
ـ طُويت صفحةُ البوحِ من زمن
واختفت شهر زادُ الجميلة
والفقيرُ الذى كان يشكُو قديما

تخلّى هنا عن فصاحتهِ

. . . .

قلت: أخلعُ ثوبَ الترقبِ والشعرِ

أُبعد نفسىَ عن صفقاتِ الرفاق

وعن جدلِ القولِ ـ حولَ الذى كانَ أو ما يكون ـ

وعن أمسياتِ تزوِّقُها الكلماتُ

وتُزجى الفراغَ الذى ينهشُ القلب . .

قلت: الشوارعُ وجهى . . وصوتىَ

والأمسياتُ . . ودفءُ المواعيد . .

. . . .

ـ متخمةٌ ياعيونَ الشوارعِ بالدمع

لكننا نحسَب الدمعَ ضوءَ القناديل

ـ مطفأةٌ يا نجومَ المدينةِ تخلُو سماكِ من الحلم

(لكنما الشعرُ يوهمُنا بالحكايا الدفيئة)

ـ معذرةً يا عيونَ المدينة . . إنا رصدْنا الوجوهَ طويلا

فلا طائلَ الآن أن نتأملَ بالشِّعر . .

إن أقف الآن سوف تداهِمُنى الخُطواتُ
وتسْحَقَنى اللعناتُ
وتأكلُ وجهى عيونُ المرابين . .
ـ تجذبنى ملصقات الشوارع
أنظُر فيها اللغاتِ الغريبةَ
أنظر فيها وجوهَ الرجال . . وجوهَ النساء الجديدةَ
أسألُ نفسى :
متى ينظُر الناسُ وجهىَ فى الملصقات
وفى الصحف المستباحة
أصبحُ نجمًا يُحيطُون بى
وأوقِّعُ أوراقَهم بابتسامة ! !
ـ لا طائلَ الآن من ثِقَلِ الشعر
واللغة القُرَشيةِ
والكتبِ الجاهليةِ
والنحو والصرفِ . . والأبجدية . .
(والوطنُ ـ الحلمُ ـ مستعرٌ فى الرمالِ يفجرُ نخلاً . . وجرُحا

ولونُ الشهادةِ في أعينِ الثاكلات
ولايطفيءُ الجمْرَ.. ما يفعلُ الشعر!)
- تلك الشوارعُ يملؤُها الناس
والناسُ لايعرفون الطريقَ إلى قاعةِ الأمسيات
يتبارى بها الشعراءُ.. وهم يلبَسونَ الثيابَ الأنيقة
يشكُون ملءَ القصائدِ جوعَ البطون.. وعُرْيَ الجسد..
- كيف للقلبِ أن يتئد..
والشوارعُ يملؤُها الناس
والناسُ لايقربُون المحافلَ - يختلف المترفُون عليها
يقصُّون عن عبقريةِ (موزار)
أو ريادة (باوند) للشِّعر
- ونسوْا يوم ضاقَ بهم واحدٌ فتغذّى بلوحاتهِ النيلُ
ثم بكى.. وارتحل!
- فجأة.. أتوقف في المنعطف
فأرى ألفَ باب.. وباب..
وأود أصيحُ.. بما أعترف

الشوارعُ يملؤها الناس . .
والملصقاتُ . . ولونُ الوجوه الشقية
والوطنُ ـ الحلم واللعناتُ . . تحاصرنى . .
ـ أنظر كفّىَ فارغةً . . فأزُمُّ فمى
وألوذُ إلى حائطٍ كادَ ينقض . .
أغمض عينىَّ . .
أقبضُ رأسى
لعلىَ أحلُم أن يتغيَر جلدى
فأخلعُ ثوبَ الكتابة
ثوبَ الكآبة . .

٦ - ١ - ١٩٨٧

بلادى

[بلادى وإن جارت علىّ عزيزةٌ
وأهلى وإن ضنوا علىّ كرام]

ـ وقوفًا على بابكِ الآن
هل تضعين المساحيقَ ـ مازلتِ ـ
أم أن وجهَكِ أعْيَا الأطباءَ حينَ اعتراكِ الوهَنْ
ـ شحوبًا على ربوةِ الأمس
هل تندبين التوابيتَ ـ ما زلتِ ـ
تحتملين المحنْ . .
ـ أمد يمينى . . امنحينى كتابَكِ
(هذا المُدَمَّى بلونِ صباك)
امنحينى كتابَكِ
غدرُ الصحابِ يظلِّلُ عينىَّ
يجعلنى الآن اقرأُ حتفَ الوطنْ . .

ـ لاتجورى علىّ
ولاتأمرى البحرَ تعصِفُ أمواجُه بالسفنْ
ـ لاتجورى . .
كفانى . . عصافيُرك الآن كفَّتْ عن البوحِ
والشجراتُ التى مدتِ الظّل أنقشُ عهدِى عليها
تخلت عن العهد . .
ـ إنى قدمتُ من النيل . .
والنيلُ مدَّ ذراعيْه بالدفء
ضم اتساعَ خطاكِ ـ من البحرِ للبحر ـ
ـ إنى قدمتُ من النيل . .
تشمَخُ فيه الشجيراتُ من أجلِ عينيْك
أطوى بجنبىّ لونَ صباك
وأطوى المسافاتِ . . أطوى الزمنْ . .
ـ امنحينى كتابكِ . . أقرأُ آياته الآن
أنزعُ صمتَ الكفنْ . .
فالصحابُ على ضفةِ النيلِ

لم يبخلوا بدماءِ القلوبِ عليك!
(التواريخُ تشهدُ
صخرُ جبالكِ يشهدُ
هبُ العواصفِ يشهدُ
وقعُ خطاكِ من البحرِ للبحر . . .
يشهدُ أنا لكلِ المحنْ!)
- قيل: كم تدفعُ الآنَ للعشق
(كلَّ الثمن . !)
افتحوا الآن صدرىَ . . كم تشهدُون به من دِمَنْ
قيل: سيدةُ السُقم تخلُع فى الليلِ أثوابَها
لترتِّقَ ما أحدثَتْه الشظايا نهارا
فيسكنُها البردُ ملءَ البدنْ
- إنها الآن غارقةٌ فى الدماء
صبغتْ رملَها بالدماء
غسَلت حبةَ القلبِ واهنةً
أصبح اللونُ . . والصوتُ . . والليلُ . . والصمتُ . . والبحر . .
نبضَ دماء .

ـ إنها الآن تنسى القصائدَ والشعراء
وتنسى الملاحمَ والبَوح
كلُّ الذى كان . . أصبحَ مثلَ الوثنْ . .
والذى جاء يركب مُهْرًا ليطلَبها الأمس
أزهقَ طاقتَه . . وامتُهِنْ . !
ـ إننى الآن جئتُ .
معى النيلُ مستعرا
أترى (أمَّ أوفى) تقابلُ عاشقَها اليومَ بالشوق
أم أن عاشقَها قد تغَّربَ
حتى إذا عادَ . . أخطأ لونَ السَّنَنْ . !
ـ قد تحملتُ من قبل
لكننى عشت خَطْوًا من الجمر
أُلقى وصايا المرابينَ فى البحر
(كيف تغلِّقُ أبوابَها الآن دونىَ
تنبذُنى الأمسياتُ . . وحملقةُ الجاريات
ـ إذا جئتُ ـ نفقدُ حكمتَنا . . ونُجنْ . !)

ـ فى دمائىَ ينخلُع القلب

دونىَ يشتعلُ البحر . .

فوق الرمالِ تدقُّ النواقيسُ

والشهداءُ يطوفُون بالليل فى الطرقاتِ البعيدة

ـ هل أَحرقُ الآن تلك السفائنَ

هل أهُرب الآن حين تنادى الروابى المدماة

أزرعُ فيها المتاريس . .

ـ سيدتى . .

إننى جئتُ . . لاتُسْلمينى لأيدِى الهزيمة

جُورى كما شئت (أنتِ العزيزة)

لاتفقدى الآن شوقَ المحاربِ

إنىَ وقَّعتُ بالموتِ ـ من زمنٍ ـ

كى تعيشى . .

وإن جارَ قلبُك . .

أنت الحبيبةُ ـ رَغْم المحنْ ـ!

١٧ ـ ٨ ـ ١٩٨٧

أوسمة الفقراء

[فقراءُ.. لا.. والله
نحنِ ربابةٌ للسائرين
نُواحها.. غنَّى بهم!]
محمود حسن إسماعيل

ـ بل شعراءٌ. . فقراءٌ. . والله
نتغنَّى بالداء. . ونفْنى فى الآه
ونسافِرُ فى داخلِنا. . ونضِلُّ كثيرا
نبنى. . نهدمُ أكواخًا. . وتوابيتَ
وأرحامًا. . وجباه
ـ نحن الشعراءَ الآذانُ. . الأعينُ. . والأفواه
. . . . . .
ـ يا حادينا. .
هل تسألُ عن قافلةٍ كانت تسْرى بالحب
أم أنك تسألُ عن نخلتِكَ الشماء

لكم أسقطناها رُطَبا فى أيدينا
ثم تقافزْنا . . نحضنُها عبرَ مدقات الحقل
فتسَّاقطُ منا ـ ترسُم دربًا من ثمرِ ـ
فيلاحقُنا الحارسُ فى يدهِ سكينٌ . . وبقايا سعف ! .
ـ كنا مثل القمحِ سنابلَ . . نضحكُ . . نضحكُ
لايهزمُنا الخوف . .
فماذا أصبحنا ؟ .
شعراءً . . فقراءً . . والله
ـ نتأمل بالشعرِ . . ونحكَى قصتَنا لليل
لكنَّ نجومَ الليل تراوغُنا . . لاتسْمعنا
ـ نغرسُ حُلمًا فى طرقاتِ العشق
فتُولد فى الفجرِ الأزهارَ
وتذبلُ فى الفجرِ الأزهار . .
ـ نطلبُ نبعَ الأرضِ الصافِي يروِى ظمأَ القلب
لكنَّ الأرض
تشربُ ما ينبعُ من ماء
وما يهمى من أمطار . .

ـ أصبحنا شعراءً . . فقراء
لم نشْكُ إلى أحد وجَعَ الفقرِ . . وجذْبَ الشعر
ألجمنا أنفسَنا . . لانقبلُ نصْحَ العالِمِ بالأمر
قالوا: كيف جهلتم أسرارَ اللعبة؟ .
يمكنكم فى ليلةِ سَمَرٍ أن تُمْسُوا بين الناس
سراةَ الشعراء
(فالبحرُ العاتى ينْبع من أقدام السادة
وسفينةُ نوح تعبُره . . لاتخطىءُ أبدا
والشمسُ خيوطُ الخير على أرضِ الخصب
لاشئ هنا مذمومٌ . . أو يُوحى بالجدب . .)
ـ تلك اللعبةُ كاملةً يا شعراء!
قلنا: لسنا نتْقنُ هذى اللعبة
فالكلْمةُ سيفٌ إن يُكْسَرْ يوما
سقطَ الفارسُ . . وانفرطَ الشعر . .
قالوا: فلسفةٌ يُعْوزُها البرهان
ما أعجبكُم . . فقراء . .

وموائدُنا . . تدعوكُم كلَّ أوان
ما أجهَلكُم . . شعراء
وليالينا . . مفعمةُ الألوان
نِعَمٌ وارفةٌ . . وفنونٌ . . وحِسَان
قالوا ـ فيما قالوا ـ:
(العالم سيركٌ للألعابِ النارية
من يحرزْ سبْقًا . . يصعدْ للأدوارِ العُلوية . .)
لكنا يا شاعرَنا ـ مثلَكَ ـ ألجْمنا أنفسنَا
لم نتدربْ فى الحلَبة
كادت تقتلُنا الأفيالُ . . وتأكلُنا الدببَة
فخسرنا اللعبة . .
وتعانقنا فى وهجِ الشمسِ . . وتحت ظلالِ اللغةِ الصعبة . .
ـ مثلَك . . مازلنا فقراء
نمتلك الكلْمةَ ـ لاتسقُط
والوجهَ المتشقَ على ساريةٍ ـ لايسقُط ـ
(تلك براءتُنا فى ساعاتِ الشدة!)

٢٥ ـ ٤ ـ ١٩٨٧

أحزان عروة بن الورد

تأخذين برأسيَ كلَّ مساء
تجيدين هدهدةَ القلب
تحتملين غبارَ المسافات.. عصْفَ الحكايات
عيناي تلتئمان.. تَحُطَّان فوق عذوبةِ صدركِ..
أقْضِمُ خبزِي المندىَّ بصوتِك
ـ يؤنسُني في ليالي التوجسِ والغزو ـ
يزرعُ في الصحراء نخيلاً.. إليه أفىءُ
وأغمض عينىَّ..
أحلم أنى بصدرِكِ طفلُ التوهج..
ـ أنكرتنى القبيلةُ منذ ولدت..
طاردتنى القبيلةُ.. ضجَّ بىَ الشعرُ والشعراءُ

رمتنى القبيلةُ بالشِّرْكِ.. والإفكِ
- تطلبُ رأسىَ -
تمنح أبهى القلائد للفائزينَ..
- ارتميتُ بصدركِ يارحبةَ الصدر
لُذْتُ بعينيك
سيفى جفونُكَ..
شعرِىَ من وجنتيكِ يضئ
.....
جئت رثَّ الثيابِ فقيرا
أغنِّى بشعرِى لمنْ هام مثلىَ فى الصحراء
- جئتُ.. لا تنكرى الخطْوَ
لاتسلمينى لسيف القبيلة
حسبى (أقسِّمُ جسمى بين الجسُوم
وأحسُو برودةَ مائىَ.. من أجل عينيكِ
تشْقى جراحِىَ من أجلِ عينيك
ينطلق الشعرُ منى سِهامًا تمزقُ ليلَ المرابين
تُسقط أعتىَ الحصون..)

ـ وأنا لا أهون . .
لأنىَ عاهدتُ عينيك ذاتَ صباحِ . . وهاجرتُ
يومًا . . أُغيُر على النَّجْد
يومًا . . أُغيرُ على السَّهل .
كلُ الليالى الكئيبةِ أُسقِطُها تحت سيفىَ
كلُ حكايا الصعاليكِ
كلُ الأساطير
تذْكُرُنى فى ليالِى القبيلة
ـ ليس لى الآنَ غيرُ ملامحِ وجهك
شاهتْ وجُوه القبيلة
شاه بها الشعراء
ـ يريقُون وجهَ القصائد بين دنانِ الشراب
يحيلُون سَقْطَ الرجالِ ملوكًا علَى الأرض ! !
شاهَ بها الشعراء . .
ـ منذ هاجرتُ . . سيفىَ أُشرِعُه فى الوجوه الكئيبة
حرفىَ أُنفِذُه فى القلوبِ . .
لعلَّ الحجَارةَ تسقُط

أبنيِ سياجًا من الحب . .
أفتح بابًا من الدفء . . للأشقياء . .
ـ اقبليني ـ كما جئتُ ملتَجئًا
اجعلي الحبَ بيني وبينكِ مبتدءا
إن شعريَ منذ سئمتُ القَبيلةَ مشتعلٌ في العراء
لاتطيلي التساؤلَ عن سفري في ليالي الشتاء . .
ـ إن سيفيَ ملكُ يمينيَ . . مازال
والشعراءَ . .
يريقون ماءَ الوجوه . .
يكيدون للشعرِ . . والوطنِ ـ الخصْب ـ
ـ أيقظي الآن عينيك
ظَلِّي لديَّ . .
اجعلي الحبَ بيني وبينكِ مبتدءا
ـ أيقظي الآن قلبَك
لاتسلميني لسيف القبيلة

٢٢ ـ ٧ ـ ١٩٨٤

إسراء

[إلى أطفال الحجارة]

صليتُ الفجر . .
فأحسستُ الرعشةَ تسْرى فى أعماقى
انتفضَ القلبُ الخاملُ . . شَقَّ جدارَ الليلِ
خاطبنى المَلَكُ النورانى :
ـ اتبعنى ياعبدَ اللّه . .
ـ لكنى لستُ نبيًا، أو صدِّيقًا . . أو حتى عرافا . ! ـ
صاح : اتبعنى يا عبدَ اللّه . . ولاتسألْنى . .
حلَّق بى المَلَكُ النورانى . .
ذَهَلت عيناى . . وأصْغت أذناى
ـ كان العالمُ من تحتى قبضةَ كف
والريحُ تسابيح . .

ولون الشمسِ رذاذًا فوق غصونِ الأشجار
- تساءلتُ: إلى أيْن . . ؟
- فى لمحة عيْن . ! -
هبط المَلَكُ النورانى . .
أنزلنى فى صحراءٍ . . قال:
- هذا قدرُكَ يا مسلوبَ الخطو
انظر قدَّامَكَ أو خلفَكَ . . تعرفْ ماذا ينتظرك
- كانت صحراءً قانيةً تسبحُ فى موجِ سراب
قلت: لعل الشمسَ استعرت
فقبضتُ الرملَ بكفىَّ . . قبضتُ دمًا مازال نديا
فارتعدَ القلبُ وزاغَتْ عيناى . .
تلفتُ . . فلم أجد المَلَك النورانى
أسرعتُ . . أصيحُ . . أصيحُ . . أنادى
فارتد الصوتُ عليلاً فى أعماقى . .
حدّقتُ النظَر طويلاً . . ثار غبارٌ . . أخذتْه الريح بعيدا

ـ هذا سورٌ . . أم بيتٌ مهجور ـ
أسرعتُ إليه . . درتُ كثيرًا حولَ السورِ . . تسللت
ـ أكوامٌ رمال . .
بابٌ مكسورٌ . . ونوافذٌ تصفرُ فيها الريح
وأحجارٌ متناثرة
لُعَبٌ . . أوراقٌ . . أقلامٌ . . وحقائب
رائحةٌ للموتِ . . مقاعدُ متخاذلةٌ . .
أقمصةٌ دامية
وحكاياتٌ ناقصةٌ فوقَ شفاهِ الأطفال . .
ـ خفَّفتُ الوطءَ قليلا
يتدلىَّ جرسٌ من فوق جدارِ
مازال أبو ياسرَ يُمْسكُ حبلَ الجرس
وينظر فى ساعته الرقمية
والأطفالُ . . أراهُم فى غُرفِ الدرس
نيامًا فوق موائدهم . .
أو تحت موائدهم . .

ينتظرون نهايةَ هذا الفصل . .
وفوق السَّبورةِ تاريخٌ مشئوم
أخطأَ كاتبهُ فى السنةِ الميلادية
فلم يكتبْ رقمَ الألف
(أتُراه يعنى عصْرَ الغاب
أم حاولَ عمدًا أن يرتدَّ الزمنُ ولايمتد!)
قلت: أكون أبا ياسر
وأدقُّ الجرسَ الصامتَ أُنْهى هذا الليلَ الموحش
أسرعتُ . . تعثرتُ برأسٍ صغيرٍ يتوسل
أمسكتُ الرأسَ أسائلُه قال:
ـ نحن الأطفال الشهداء
نحن حجارةُ هذا السور
ومئذنةُ الأقصى . . والساحةُ ـ داميةً ـ
نحن الأجراسُ . . وأوراقُ السادةِ فوق موائدهم
نحن اللعبةُ ـ خاسرةً ـ فى أيديكم
نحن حكاياتٌ متجددة . .

فاقرع أجراسَكَ للسادة . .
لاتقرْعها للأطفال . . !
. . . .
ـ انهار الصمتُ بقلبى . . فتفجَّر جمْرا
وتقاطر من عينىَّ دموعًا . . غمرتْ جمجمةَ الطفل
انطلق دخانٌ يصّاعدُ . . يصّاعدُ . . ينشق :
ـ صوت طبول . . وزئيرٌ وحوش
وشظايا . .
ألقيتُ بنفسى فى أقربِ حفرة . .
وضممتُ إلى صدريِ كلَّ جماجم أطفالى . .
. . . .
ـ واجهنى الملَكُ النورانى :
(الآن تخيَّرْ أقدارَك !)
قلت : الجرسُ الصامتُ يقرعُ رأسى
لكنَّ جماجمَ أطفالىِ . . تشطُرنى نصفين
قال : احملْها معكَ الآن

واضرب كلَّ رءوس السادة

وانثرها فوقَ موائدهم

واملأها بشرابٍ يوقظُ فيهم ما غابَ . .

وما مات!

. . . . . .

ـ لا أكذِبُكم يا سادتَنَا

أسريتُ الليلةَ . . واستعرتْ أعماقى

أبحث فيكم عن صِدِّيقٍ واحد

يحمل مثلى هذا القدرَ الدامى

ويدقُ الأجراس . !

١٣ ـ ٢ ـ ١٩٨٨

الصياد

حدَّثُته . . حدَّثنى
ولم يزدْ عن جملةٍ واحدة
ثم اختفى فى الموج . .
ألقيتُ ما أحملُ من شباكى
قرأتُ سورةَ البحر . . وسورةَ الصحراء
وكلَّ ما لم تُنزلِ السماء
أشعلتُ فوق الشاطئ البَخور
ألقيتُ التمائمَ المرصودة . .
لكنه غاب . . وأمعنَ الغياب . .
أنصتُّ . . صوتُ طفلتى التى اصطفاها الموج
يومًا . . وحدها . .

أنصتُّ . . صوتُ ماتقصَّفَتْ به الضلوع
مايشْرَقُ فى الحلوق . .
نزعتُ قلبى من إساره
قذفْتُه فى البحر . . حتى يستجيب
زُلزِلَتْ مفاصلُ البحر . . وملأ الفضاءَ ضِحْكاَ
يا أيها القاصمُ ظهرى ألفَ مرةٍ
أريدُ فُلْكاَ
هزأْتَ بى . .
أسقطنى العالمُ من حسابِهِ
وراهنَ الملحُ عليَّ الجَمر
زُلزلتْ مفاصلُ البحر . . وملأ الفضاءَ قصْفاَ
غامت بعينيَّ السماءُ . . هل أنالُ حتْفاَ
وخطوىَ الموءُود لم يُسْعفْ شباكى بعد
وطائرُ النورسِ لم يجئْ فى موعده . .
ـ أنذرنى البحر . . استقرَّ تحت جلدى ملحُهُ
ظمِئت . .

قال: غاب الوطُن القديُم فى جوفى

كما يغيب كلُ شئْ.

فأدِرْ لى ظهَركَ الآن. . ولْملم الشباك

واحملْها على الكتْفَيْن. .

فربما جنِّيةٌ تُبعثُ من قلب الرمالِ لك

تقولُ: (شبِّيكَ ولبَّيْك. .)

وربما. . تصنع من خيالها الوطن. .

قلت: فقدتُ القلبَ فى موجِك

من أجل الذى يغيب

وحرفتى. . أصيدُ فى الماء ولا أصيدُ فى الصحراء. .

ـ زلزل البحر بضحْكِه الفضاء

غامت السماء

تساقطت فوق الرمال سحبًا. . وموجا

ـ هل تصلُح الشباك أن تصيد فى البحر الجديد

وطنا!.

٥ ـ ٦ـ ١٩٨٨

التباس

من يصدِّقُ من . .
من يكذِّبُ من . .
النبوءاُت تأتى من البحر
والبحر لايستقر . .
والعبابُ الذى ثار من لحظةٍ
يترك الآن فوق العيون الزَّبَدً
ثم يسرعُ . . يُفلتُ من قبضة اليد . .
. . . . . .
من يصدقُ من
من يكذبُ من . .

الذى قال بالأمسِ قولتَه
أقبلَ اليوم ينكُر ما قال
ـ لونٌ جديدٌ على شفَتْيه
سوادٌ كئيبٌ بعينيه
حسٌ خفىٌ بكفيه
ـ الذى قال بالأمسِ قولتَه
لم يقلْها وسيفٌ يباغتُه
أو شظايا من الجمْر تشطُره
ـ الذى قال بالأمس . .
ماعاد نصلاً . . وصخرا
وما عاد للقادمين النبوءة
. . . .
من يصدق من . .
قال لى صاحبى ـ ورمال التواريخ ترسُم عينيه ـ:
ـ أنت ترهق نفسك شعرا
وتذبح نفسك قهرا

إن هذا الزمان الذى نقبضُه
يحرق الآن أصباغه . .
يتسربُ من فتحات الأصابع
ـ هذا الزمان غريبٌ على الأزمنة
أترى الآن أشجاره
كيف تفقدُ أثمارها وهى تشمخ فوق الرمال
ـ أترى الآن فُرسانَه
يختفون وراءَ الحوائط كالنسوةِ العاقرات
ـ أترى الآن كيف يهمُّ الصغار
وقد حملوا فى الجيوب الحجار
ـ قال لى صاحبى :
إن هذا زمان الكبائر
هذا ضياع المضائر . .
من يشرب الكأسَ . . ماتت لديه الضمائر
أترى الآن كيف تناثر بين الدروبِ الرفاق
تاركين على السفح رايتهم . . راحلين

تحطّ عليها النسور
ويجتمعُ النملُ
حتى تصير المدائن شائهةً
. . . .
ـ رايةٌ فوق هذى الشطوط . . المدائن
كانت تجدِّدُ ذاكرةَ العربى زمانا
ولكنها الآن غائبةٌ
ليتها غيبةُ العاشقين
ليتها امرأةٌ . . نفضت فى الظلامِ ضفائرَها
وانثنتْ نجمةً . . أو نسيمْةَ حلمٍ
إلى أن يجئَ الصباح
فتلبَس زينَتَها . .
ـ إنها امرأةٌ عاهرة
خلعت فى الظلام غلائلَها
ثم ألقت أنوثَتَها بين دفءِ الرجال
إلى أن يجئَ الصباح

فتخرج عاريةً

وتجاهر بالسرِ . . والضحكةِ الساخرة . .

. . . .

ـ من يصدق من

الرياح تصفِّرُ كالجرح

والرملُ منتفخٌ فى العيون

ورائحةٌ من خلال التوابيت

تهرُبُ منها العصافير

والأصدقاء على مفرِق الدربِ ينسحبون

وصوتٌ من الغيب . . !

. . . . .

لم يبْقَ غير الصراخ الذى

ألبسَ الوهمَ

ثوبَ الوطن . . !

٧ ـ ١٢ـ ١٩٨٨

سوق عكاظ

أجَلِ الآن هذا الحُداء
تتوخَّى القوافلُ أن تتلكأَ فى الظلِ
حتى يتم لقاءُ المحبين . .
حتى أرى الشعراء يميلونَ نحو القباب
قُبَيْلَ الرحيل . .
أجَّل الآن هذا النداء العليل
إنها السوقُ تنفضٌّ . . هل من سبيل
والقصائدُ تنزفُ أحرفَها فى التلول
وثأرٌ جديدٌ يثور
وثأرٌ قديمٌ يزول . .

أجل الآن هذا الصراخ . .
إنها السوقُ مهْدُ الحكايات
تعصفُ حينًا بفرُسانها الفاتحين
وحينًا تفاخرُ بالقاعدين
ولاشيءَ يبقى سوى دمعاتِ الصغار
ـ بنا . . نبْك ذكرى الديار
ونبك انتظارَ النهار
وأوجاعَ من يرحلون
إن قيسًا مع القاعدين
وليلى مع النائحين
ورزءَ جليلةَ مازال يُنبتُ فى الرمل
وردًا . . وصفصافةً . . وأنين
وبين الخنادق ألفُ قتيل . .
ـ أجِّل الآن ما سوف يأتى
وما سيكون . .
أجل الآن هذا النواحَ . . وأوقفْ رياحَ الحنين
وحدِّق بأقدامنا

بعيونِ الصبايا
بكل الجرار التى فَرغَتْ منذ حين
بالدماء التى لاتزالُ على صخرةٍ لاتلين
إنه الوجعُ المتوقِّدُ فى العين
والهَلَعُ المتجدِّدُ فى القلب
والصلواتُ.. الفروضُ.. النوافلُ.. والسَّهْوُ
والرعشاتُ بصدرِ الصغارِ المهانين
- لن يقبلَ اللّه منا التبتُّلَ
والرقُ فى السُّوقِ مازال نهرًا يسيل
وأشجارُنا تحتفى بالعويل
وسوطُ يهوذا
وحبلُ المشانقِ.. والقهرُ
ينتظرُ القادمين
.....
- كان فى البدءِ هذا الكتابُ المبين
كان بين يدينا ورودَ اليقين..

إنه اليومَ تلعقُه فى الخرابِ . . الكلاب
إنه اليوم بَدءٌ . . ودربٌ . . وأىُ انتهاء
أجل الآن هذا الحدُاء
وابدأ الآن سوقًا نجادلُ فيها طويلا
بلا شعَر . . أو قافية . .
نجادل بالبندقيةِ
بالسوط . .
بالحَجَر . . الجَمْرِ . .
بالسَّهرِ . . الصَّحْوِ . . فى فلواتِ الشتاء
. . . . .
لست أطلبُ حربَ البسوسِ . . ولاصلفَ الأغبياء
ولسنا نحاربُ من أجل ذيْل بعيرِ
ونعْل حقيرِ
وشرْوَى نقيرِ
وصيحةِ فخْرٍ بوجهِ أمير
نحارب من أجل ما ضاعَ منا

ومابيعَ منا
ومن جاعَ منا
ومنْ. . . !
لست أبكى طلول الحبيبةِ
أو حَصَيات الدِّمَنْ
أجل الآن ذكرَ المحنْ. .
وابدأ السوقَ ـ لاتستمعْ للوصايا ـ
وأَسْقطْ جدارَ الوثَنْ. .
قد مضى زمنُ الجاهلية ـ فوق الرمالِ ضحايا ـ
وكلُ المفازات تنكرُ لونَ العفَنْ. .
والذى فى عيونِ الصغار
من القهرِ. . والموتِ
والأمنياتْ. .
يستحقُّ الثمنْ. .

١٠ ـ ١ ١٩٨٩

شظايا

كتبت هذه القصائد ما بين
يوليو ١٩٨٩ - ويوليو ١٩٩٣

إليك

- أيها القارئ المتململُ
فرِّجْ خطوطَ جبينك
دعْ خلفَ ظهرِكَ ما تشتهيه الرياح
ومدِّد كما شئتَ ساقيكَ
مُدَّ شراييِنَك الألف
إن دماءَ القصائدِ تنثالُ من جبهةِ الشعرِ
- لا تطلبُ البحر . !-
- يأيها القارئ المتربص
خفّفْ من الغضبِ المتوارَثِ
لا تطأ الأرضَ مُستَنْفِرًا

. . . .

إنه الشعر . .
مَدَّ إليكَ يديه . .
فمُدَّ إليه يدكْ!

وخز الهوى

سواكَ . . لا طيرٌ . . ولا غزالْ
سواكَ . . لا شوقٌ . . ولا مُحالْ
كلْ التراتيل التى خلتها . .
تُشعلنى . .
لا تملكُ الإشتعالْ . .
وأنتَ مشكاتى التى أصْطفى
تُضيئنى وحدى بسحر الجمال
لا تخشَ إقبالى ووخزَ الهوى
فالعشقُ يامولاى . . صعبُ المنالْ
وحجتى . .
ألاّ يصحُّ الهوى
بغير أن ترضى . . وألا تُطالْ . !

اللهيب

عن الشعر تسألنى :
- من تُراها التى ألهمتنى
أُطرزُ فيها القصائد
أجعلها نجمةَ العشْقِ والشوق
- أواحدةٌ أم نساء . .
أمصرية أم وراء الحدود
أسمراءُ . . أم . . !
عن الشعر تسألنى . .
وهى تعرفُ أنى مع الشعر أرْضَى احتراقى
هو السِّيدُ المتفضّلُ . .
سوطُ بقبضتهُ

ونعيم بساحته
وأنا دائماً رهنُ نظرته
وهو يمنحنى ما يراه من الجمرْ
حبًا . . وهمًا
ومملكةً . . وجحيما
- فلا تسألى الآن
لكنْ هَبى كلَّ شىءٍ جميل
ومرّى على أعينى الآن
ناضرةً كالقصيدة . .
قد يقبلُ السيدُ المتفضل أن يصطفيك لقلبى
ويغلقَ بابى
فتحترقين معى فى اللهيب!

حيرة

تطالبنى عبسُ أن أشحذَ السيف!
- أعطيتُ عبسًا مواثيق قلبى -
فألقتْ على القلبِ ذُبيانُ نار الفجيعةِ
سدَّدَت السِّهمَ خلفى . .
- بحثتُ لدى عبسٍ عن وجعى . . ودوائى
قيل لى: لستَ منا . !
تضرَّجْتُ فى غُربةِ السيف . .
علّقتُ قلبى على طَرفهِ . .
فتقاطر فوق الهواءِ الذى
بين عبسٍ . . وذُبيان . !

. . . .

لم يعرفوا القلب . .

فهل تعرفون . .

إلى أى فاجعةٍ . . أنتمى!؟

الشعراء

لم أكن آخرَ الشعراء
واللغاتُ التى انسكبتْ فوق هذى القراطيس
مرةٌ فى المذاقْ!
كلُ شيئ تأجِّج من صبوةِ الشعر
لا يقبلُ الإحتراقْ . .
غير أنى أرى الشعراء فريقيْن :
- واحدًا فى السبّاقْ
(كلَّ يوم يغّيرُ جلدًا
ويحرقُ فى الليل كلَّ البخور
يفُكُ وثاقًا . . يشُدُّ وَثاقْ)

- وفريقًا أسنّته الكلمات

يتطهرُ بالعشقِ

يشحذُ عينيْه بالشوقِ

يخترقُ الليلَ فوق بُراقْ

. . . .

فانظروا الآن ياشعراءَ الزمان

لأى الفريقين مِلْتُم . .

وماذا جنيتُم . .

واللغات التى انسكبت

فوق هذى القراطيس

تبدأ الإحتراق . !

المهرج

جاء يبحثُ عن دورِهِ

فاستحال صدى . .

واستراح على وهمِهِ . . أغْيَدَا

وارتدى

جُبَّةً من نسيجِ الندى

فبدا . . هُدْهُدا

وغَدَا . .

يوهم السُّفهاءَ بأن الذى فى يديْه

كتابَ الهدى . .

أنه جاء يصنعُ للشعرِ

جلدًا جديدًا . .
ووجهًا على متْنه . . أوْحدا
(والذى قبْل مقْدَمه . .
كان ثرثرةً . . وقذى . .
وصدىً أسودا)

. . . .

جاء يعطى مُسَيْلمةَ العهدَ . . والمُحتدا
فبماذا تُراه يتيهُ . . غدا
حين يدعُو الطيورَ التى انفرطت
فوق تلك الربا . .
أن تعود إليه . .
فتأبى الندا . .
ويضيُع الصدى!

اختيار

ـ ليس عجيبًا أن نفقدَ سرّ المُطلقْ
أو تغرُبَ شمسٌ فى غيْم المشْرِقْ
أو ندعو الشعراءَ إلى أمسيةٍ
لا نسمعُ فيها إلا الشعرَ الأخرقْ . .
- ليس عجيبًا
أن نشنُقَ فوق حبالِ اللغةِ ملايين الحكماء
ونقسمُ أن الماضى . . أحمق . .
فزمانٌ تتنازعُه الأقلامُ الباردةُ
زمانٌ . . منسُوجٌ بخيوط واهيةٍ
وزجاجِ عيونٍ تبرُقْ . .

- ليس عجيبًا
أن ننظرَ هذى الأرضَ تضيقُ علينا
ونرى العالَم من ثَقْبٍ ضيقْ . .
فابحثْ عن رأسك
وانزِعْه . . من تحت نعال الأقدام
أفرغْ ما يتألّقُ فيه
فى أنهارٍ عذراء . .
أو . . فاستسْلم
وادفِن نفَسك فى مقبرةِ الضعفاء!

آهة

آهِ . .
لو كنتُ دخانًا في الفلكْ
أو غُصونًا غضةً لم تشتبكْ
آه . . لو كنتُ حمامًا يشتهي
خمرةَ البوحِ بأطراف الحَلَكْ
آه . .
لو كنتُ وشاحًا يحتوي
جيدَها
ياجيدَها . .
ما أجملَكْ . !

قدر

- سأدوِّى باسمكِ
حتى تتوهجَ أزهارُ الصيف
حتى تتجسَّدَ بين يدِى ألوانُ الطيف
- سأغنى باسمكِ
وأشُدُّ الأوتار علَى عُنقى
تنبتُ أطواقًا من سعْف . .
. . . .
- أحببتُك :
لا أعرفُ فى حبكِ معنى الخوف . .
فانهمرى ماشئتِ بأوراقى

سرًا . . أو جهرًا . .

بعضَ رماد . . أو جمرا

قصفًا ببقايا وجعى . . أو عصْف

- إنى قدرٌ . . موثوقٌ فى عينيك

وعيناك . .

قوْسان من الصبوةِ والعنف . !

هى

زهرةُ عشق بريَّة
أرشقُها فى زاوية القلب
وأخبّئها فى رئتى السريِّة
أطلقُ منها شمسى القدسيِّة
- هى . .
قسمةُ رب الحسناواتِ إلى قلبِى
جنةُ رب العشاق
إلى من ذابَ فناءً فى الربِ
فاكهةٌ . . تتدلى قوسيْن
وتشبعنى بالحبِ

- هى . .
سفَرى . .
عودةُ خطوى الشارد
أشعارى أشرعتى
حَبْلُ الشوقِ الموصولُ
إلى ما بعد البعد . .

. . . .

- ماذا بعد تبقى لم ينطقْ باسمك
ماذا بعد . .
وماذا بعد البعد . . !

الثمرة

بين المطْهر والفردوسِ

انزلقت ثمرة . .

أسرعتُ الاحقُها

هَربت منى . .

قادتنى خارج بواباتِ الصمت

انطلقتْ فى عينىّ امرأةَ

تنمو . . تتكور . .

تثمر . . تتفرع

تسَّاقط وردًا . .

تدعونى أن ألقاها - وحدى -

أن أعْصِر كرمَتَها . . وحدى
أن أطفئَ جَذوتَها . . وحدى
- أدركتُ بأن الثمرةَ . . ناضجةٌ
حين هممتُ بها . .
كان جحيمُ العشق يطهِّرُنا
لم أسألْ - لحظتَها -
لِمَ تُغلِقُ دونى الفردوسُ . . الأبواب . !

هجرة

هاجرتُ إليكِ وهاجرتِ إليّ
وتعانقَت الخطوةُ والخطوةُ
لا نعرفُ أيَّ الخطواتِ إليكِ
وأيَّ الخطواتِ إليّ . .
- حاصرَنا الشجرُ . . النهرُ . . البحرُ
الليلْ . .
فأجبنا حينًا بالصمتِ
وحينًا بلسانِ نبيّ . .
- الآن انعدمت كلُ مسافاتِ الأشواق
انسكبت سنبلةُ القلبِ على الأوراق

تفجَّر ملكوتُ العشقِ
بهذا السرِّ المطويّ
ينطلقُ فراشةَ حُلمٍ
وحمامةَ دفءٍ
بين يديك . . وبين يدىّ
- لا شىْ هنا أكبرُ من حجم الحب بقلبيْنا
فالعالم موثوقٌ فينا بالحبل السُرِىّ!

امرأة

امرأةٌ فى ثوبِ النَّمِر
وأُخْرى فى ثوبِ الذئبِ
وثالثةٌ أفعى . .
وأنا راعٍ فى بيداءِ العشق
تهشُّ عصاى . .
ولا أملكُ أن أجعلها تسْعى
- شَتَّتَنِى النمرُ
وبدَّدنى الذئبُ
وعضّتنى الأفعى . .
لكنَّ الحبَ امتلك البيداءَ
ففرَّت عنى النسوةُ

والليلُ انقشَعا . .
- أتوحّدُ فى اللاّلون
اللاّ صوت
اللاّ حلم
وأنقش فى الصخر اللفظَ المتوهجَ
واللفظَ المسنونَ . . معَا
فاذا راعِى البيداءِ نبيًّا
بين يديه :
يعترف النمرُ
ويبكى الذئبُ
وتخلُع مئزرَها الأفعى
- باسمك ناديتُ الآنْ
فتعالىْ ياامرأةٌ
يصنعُها الربُ على عينيْه
تحملُ مالا تحملُه النسوةُ
وأنا بين يديها . . أسعى . !

العشق

أنتِ حين انقسمتِ على حافة الصمتِ
فجرتُ عينيكِ سنبلتيْن . .
وساقيْكِ صَفصاتيْن
ولونَ احتراقك شمسا . .
وأنا . .
حين أضرَمَتِ النار فى داخلى
كنتِ خمرَ احتوائى
وشِعرى
وأسطورةَ السفر المستحيل
فكيف إذا جئتُ أسألُكِ البوحَ

أنكرتِ حُلم اشتهائى
وخمرى
وشعرى . ؟
أَفِى العشق ياقَدَرى
عاشقٌ مستبدٌ
وآخرُ مستعبَدٌ بالعطاء. !؟

كبرياء

أخلصتُكَ العشقَ حتى كدتُ أنخطفُ

وذبتُ وجدًا ودوًّى فى الحشا لهفُ . .

وقلتُ سوف تغنّى عند نافذتى

وسوف تزهو بذكر الملتقى صحفُ . .

ودَّعتُ كلَّ غزالاتى . . بلا أسف

وقلتُ حسبىَ يُطفى غُلّتى الشغفُ . .

عسى تجئُ كغيثِ الحُلمِ محتدمًا

دفئًا وشوقًا . . فلا ذكرى ولا أسفُ . .

لكنكَ اخترتَ دربًا غيرَ خارطتى

والدربُ لم يكُ عن لقياكَ ينعطفُ . .

مابال قلبكَ أهوى كل سارية
كانت بكل طريقٍ للهوى تقفُ . .
ما بال قلبكَ أشقى الحبَ منصرفًا
عن وجهه . . وأنا ما كنتُ أنصرفُ
إن كنتَ تحسَبُ أحلامَ الهوى انفرطتْ
فالحلمُ فى القلبِ موثوقٌ به النُطفُ . .
فارحل كما شئتَ عنى
إننى ألفٌ
لم تنكسْر . .
أو يُبدِّدْ عودَها تلفُ . . !

الجرذان

وانتظر القومُ الطوفان
ملُّوا وقْفتَهم فوق الرمل
ملئُوا غُرفَ الأفواه . . رياحًا . . ورذاذا
حلَموا بالفُلْكِ القادم يحملُ من كلٍّ زوجين :
الإنسانُ . . الجُرذانُ . . القردُ . . القطُ
الكلبُ . . الثعلبُ . . والثعبان . .
- حين انتبهوا من غفوتهم
كان الثعبان يَعَضُّ الثعلب
والثعلب كان يعض الكلب
وكان الكلبُ يعض القطَ

وكان القطُ يعض القردَ . .
وكان القردُ يطاردُ فوق الرملِ الجرذانْ
والجرذانْ
تهُمُّ بنا مثلَ الطوفانْ . !

الزوايا

أربعةً كنا على زوايا مستطيل
وحينما تقابلت خيوطُنا
أمسكها خامسُنا في الوسط المستحيل
- هاجَمنا اللصوصُ في أحلامنا
زاحَمَنا الليلُ
فأطبقنا الزوايا القائمة
صرنا مثلثين منطبقين
من يومها ونحن في صراعٍ
من يفوز بالزوايا
لأن كل زاوية
تكفي لواحدٍ . . لا اثنين !

الصدأ

- أعفى قدميْهِ
من المشْى علَى جَمْر الشارع
ومشى فوق جماجم موتاه . .
- أعفى عينيْهُ
من التحديق خلالَ قلوب الناس
وتقافزَ مزهوًا بين خُطاه . .
- أعفى شفتيْهِ
من الكلمات -- الوهجِ -
الكلمات - الصدقْ -
حتى انطفأت بين ثناياه

- أعفى أذنيْه
من الموسيقى - الحلم -
فاسترخت شعرات الحسرة
خلف قفاه . .
. . . .
. . . .
- كيف إذن يجلُو صدأ القلب
ويغنى ثانيةً
شيئًا يهواه. !؟

السؤال

حين ينتزعُ القلبُ ضحكتَه
من صخور الألم
حين تبردُ فى العينِ دمعتُها بالفرحْ
أتساءل :
- ما الذى يقلبُ الضحْكَ همًا
ويرسُم فوق الملامحِ قيدَ الألم
. . . .
القبورُ تنوح
القصور . . تنوح
الصبايا . . الصغار
الكبار . .
البحار . . تنوح
فمن أين يأتى الفرح!؟

العرش

قال قولتَه . . وانطفا
بعد أن كان فى عرشِه المصطفى
فى عذوبته . . مرهفا
فى اللقاء . . هفا . .
فى الوداع . . الصدى والوفا
. . . .
جاء موعدُه . .
فتساقط من عرشه . . زُخرفا
لم تطُله العناقيدُ
حتى المواعيدُ
تُعلن فى وجهه . . موقفا

- ليته زيَّن العرش نخلاً من الخِصب
مشكاةَ ضوءٍ من الحبْ . .
- ليته أوسع القلب
حتى إذا قال قولتَه
ما انطفا . !

صديقى

أصحيحٌ أن الشعر يقطّعُ صاحبَه
أبياتًا أبياتًا
وعلى جمر محمومٍ يشويه
ويُطعمه الأفواهَ . . فتاتا
أصحيح أنا نستعذبُ أن تَحْرِقَنا نارُ الشعر
ونبقى فيها أمواتًا . .
قال صديقى : هذا موتٌ كالعشق
يُنضِجُ جلدَ القلبِ إذا احترق
أو انتثر شتاتا . .
قلتُ : كأنى أدعو طيرًا

تتفرقُ أضلعُها فوقَ تلالِ الصمت
فتأتينى أصواتًا . .
أو أنى أقبض فوق خيوطِ الضوء
فتنمو أعوادًا . . ونباتا . .
- ظل صديقى يتحاورُ . . يتحاورُ . .
حتى شَرَقَ بنار الشعر
فتلوتُ عليه أبياتا
ورششتُ عليه
ماءً من قلبى
فاستقبلَهُ فى ملكوتِ الحلم ملائكةُ الرحمةِ
قالوا :
- ذاك شهيدُ الشعر . . فلا ذنبَ له
يدخلُ تلك النارَ لينضُجَ قلبُه
ويعودَ يفجرُ نبعَ الصمت . .
فراتا . !

الظل

ظل العاشقُ يبحثُ عن معشوقته
فى وهج الصحراء
حتى التقيا . .
فاشتعلا . .
واصطليا . . .
- فى ربوة ظل حانيةٍ
خَمَدَ العشق . .
- لما خشيا أن يصبح عشقُ المعشوقين
رمادا . . .
جَمَعا - ثانية - حبات الجمرْ
. . . .

- كان الليلُ يطاردُ شمسَ الصحراء
وريح الصحراء . .
فانتبها . .
واحترقا فى الصمتِ
وماتا . . !

الصهيل

تصهلُ الخيلُ . .

ماذا يفسرُ هذا الصهيلُ

وماذا يقول . .

وألف سؤالٍ – على ألف سيف – قتيلْ . .

وجوعٌ . . ثقيلْ

وسنبلةٌ قَزْمَةٌ . . فى الحقول

وقلبٌ . . عليلٌ . . عليلْ . .

وفى ساحةِ الجمرِ

طفلٌ تعفَّن فى دمه . . كالطُّلُولْ

تعانق فى شفتيه الذبولْ . .

. . . .

فماذا يقول الصهيلْ

وكيف يفسّر هذا البلاءَ الطويْل . !

الغابة

- دخلتُ يومًا غابةَ الأسرارْ
حطَّ فوق كِتْفِىَ . . الهزَار
أسكرنى . .
حتى رأيتُ طائرى الجميل
فى هيئة الحمار . .
والنهرَ فى المدى يلوذُ بالفِرار
- ساءَلنى الهزارُ عن عشيرتى
قلتُ له :
لعلَّنى من عُصبة الشُطَّار
أو من رجال السّحرِ

أو طيورِ الشعرِ
أو شيوخ الفقهُ . .
أو جماعةِ الأحبارْ . .
صاح الهزار :
سيدى
(غابتُنا لا تعرفُ المراوغة)
عليك أن تختارْ
أو . . دعْ لنا . .
نحرقُ جلدَك القديم
فتستحيلَ مثلنا
سرًا من الأسرار . !

تأويلُ الأحلام

قال :

لا ترهقْ نفسَكَ فى تأويلِ الحُلم
فمن نام على جمر الشوق . . رآنى
من نام على خمر العشق . . رآنى
من يتكحلْ بالروْع . . رآنى . .
من جدَّد فى عينيْه الدمعَ . . رآنى
. . . . . .
لا ترهقْ نفسَك فى تأويلِ الحُلم
فمن يَرَنى . . يصعدْ مركبةَ الشمس
من يرنى . . يَجْنِ الثمراتِ بلا بخْس

من يرنى . .
أسكنْ عينيْه . . واغفرْ ذنبَه
من يرنى . .
أصبحْ يده . . قلبَه
. . . . . .
قلت : فمن يعصمُنى يامولاى
لو لم أحلُم . !

مزمار

- ياصديقَ المطر . .

كيف لم تنتظرْ . .

إننى لم أكنْ فى الصَّدى أستتر

- ياصديقَ المطر . .

إننى أستعر

مرَّ يومٌ . . ويومٌ . . وحُلمى صور

والغدُ المستحيلُ انحنى . . وانكسر

- ياصديق المطر . .

إننى أعتصر

فلماذا اختناقُ المدى . . والقمر

ولماذا يطولُ السَّفر
- ياصديقَ المطر
كيف لم تنتظر؟
كيف لم تنتظر.؟

قبول

حبُكَ قد بدَّدنى
فى عالمِ المستحيلْ
كيف أنالُ الرضا
وليس لى من سبيلْ
وقد فقدتُ الخُطى
إلا القليلَ القليلْ
متى أباهى الورى
بلحظةِ منْ قَبولْ!

أحوال

عاصفٌ كالريح حينًا
جارفٌ كالسيل حينًا
فى دروب العابرينْ . .
مطفأ كالحزنِ فى ظل العيونْ
. . . . . .
تلك حالُ العشقِ فى القلبِ
وحالُ العاشقينْ . !

مسافر إلى الأبد

(إلى فتحي سعيد)

ضاقَ هذا المدى بالسَّفر
وأراكَ على البُعد لا تنتظرْ
إنها جمرةُ الشعرِ
تعرفُ أيَّ اللغاتِ تحاورُها
أي شوق نراوغُهُ
بالأسى المدَّخرْ -
إنها جمرةُ الشعر
لا نستطيع الفكاك . .
ولا نستطيع الحذرْ . .
نتوهم نسيانها
- وهي غائرة في النُّهى والبصرْ

أجّجَتْنا . . فكنا القصائدَ
كنا الفرائدَ
لكنَّ هذا المدى . . ضاق
والحلمَ . . ضاق
ولاشئٌ يُسعفنا بالظفرْ

. . . .

- سافرِ الآنَ . . هذا القدرْ
دائمًا - قبلَ موعدِه - يحصدُ الشعرَ والشعراءَ
ولا يعتذرْ
لنصيرَ إلى كل قلبٍ
إلى كل عينٍ
حروفًا من الصمتِ
آفةَ عصرٍ شقيٍّ
سنابلَ ذابلةً
وبقايا خبرْ . .
- سافر الآن . . لا تنتظرْ

مئذنة

تابعها الطفل بعينيه
حتى انحدرتْ عيناه خلفَ قفاه
أفلتتِ الريحُ تؤرجحُها
استلقى فوق الأرض
اتسعت عيناه . .
هربَت قافيةُ الألفِ الممدودة من إبطيه
تسلَّقَت المئذنةَ - تحوّم باسم الله -
تَشَبَّثَ بالقافية . . الطفل . .
اشتعل حنيناً . . حتى بلغ ثريَّاه
احتضن هلالَ الشوق . . توحَّدَ

أصْغى
لا يبقى من عالمه المفتون . . سواه
الطفل تضوَّأَ نجماً بين هلالِ الشوق
يدعو من يمشى فوق الأرض
أن يصعد فوق القافية الممدودة
. . . .
من منا ياأحبابُ . . يلبى دعواه . !

التمثال

في الساحة تمثالٌ للسلطان الكامل
يرجع تاريخُ صناعته للقرن المجهولْ . .
وبه طاف الآباءُ . . النسوةُ . . والأطفال
صاحوا بالتكبير . . وبالتهليلْ . .
وتلى أكبرهُم صلواتِ الشكر
يؤرجحُ في يده قنديلُ . .
– ذات مساءٍ صيْفيّ
سئم التمثالُ بلادتَه الفولاذيَّة
خلع عباءَته . . وسعى بين الناسِ
يبشّرهم بالخير المأمولْ . .

- أمسكه العسسُ الليلى
متَّهمًا بالعُرْيِ الفاضح . .
وبغير محاكمة عادلة . .
ساقوا السلطانَ الكاملَ
مصفودًا فى موضع تمثاله
وغدا السلطانَ المقتول!

الهدهد

لامَ سليمانُ الهدهدَ

حين استبطأه فى رحلتِه الأولى

أنزلَه عن عرشِ حجابَتِه

واستحضر عفريتَ الجن

- كان العالم مخضوبًا بالحناءِ

وكان اليمُ كتابًا منشورًا

والصحراءُ رؤى . . لا تهدأ . .

- لكنَّ الهدهدَ كان يرى دنياه شرنقةً باردةً

لم يُفلحْ لما نقَّرَها

أن يفتح نافذةً يقطُرُ منها دمعُ التوبة

. . . .

- كسرت بلقيس حصارَ الهدهد

حين اتخذته حاجبَها الأوحد

فعفا عنه سليمان

من أجل عيون مليكته الحسناء .!

الجديد !

يزهو عنترةُ بسيفه

تزهو هندُ بكبِدِ الفارس

تبكى عائشةُ حديثَ الإفك

وأنا . .

أبحث عن نبأ . .

أُلبِسُهُ ثوبَ الدهشة

وأعلِّقُهُ فوق الأشرعةِ إلى أقصى العالم

تأتينى حَصَيَاتٌ من أنباءٍ خامدةٍ

مقتولة . .

ألقَفُها . . تلمسُ كفىَّ . . تذوب .

ويبقى عنترةُ
وهندُ
وعائشةُ
ويبقى لَهَفى ان أُفرغَ فى جوفى
قنينةَ حلمٍ آخر . !

أساطير

انصهرت صخرةُ ليْلى
فاشتد القلبُ . . امتدْ
غدا نسمةَ لحنٍ طازَجةً . . وهدايا وردْ
احتدّ على من يرسُمُ فى خُطوته الحدْ . .
شدَّ إلى العشاق المهمومين
حبالَ الودْ . .
طار على شجر الصّفصافِ جوادًا
يطوى زمنَ الصمتِ
وزمنَ الفقدْ . .
حطَّ على مئذنةِ العشقِ النابتةِ

حمامًا

وحكايا

. . . .

- أتسللُ أحملُ فأسى الآن

أحرّرِ أعناقَ العشاق

وأكسرُ أعْتى قيدْ . .

أحشرُهم تحت لوائى

ولوائى . . زهرُ الصبَّار

وسعفُ النخل

وأعوادُ بَخُورِ

ودفاترُ موسيقى

وغزالاتٌ شاردةٌ

وسفائنُ مدْ . .

- عشقى يأسرنى الآن

فألقانى مجنوناً فى غابات النغمِ العُلوى

مزاميرى . . أمنحهُا الطيرَ الغجرى

وأغشى السِّدْرةَ تغشانى
يغمرنى عسلُ العينينِ الظامئتين
فأخطو . . أغرقُ . .
أعبدُ هذا الألقَ القدسىّ
وارتدّ . .
لستُ مسيلمةَ
ولستُ الفارسَ دون سلاح
لست الضاربَ بالسِّيف طواحينَ الوهم
بلا قصدْ
لكنى أخترقُ طقوسَ العتمة
أُطلق حجرًا أزرقَ يحمينى من حَسَد العينين
وأدق بتابوت الصمت . .
مساميرَ العُرس الآتى
وأعلّق زيناتٍ من شُريان القلب
فتأتينى واحدتى فوق المركبةِ الملكية
ألقفُها بيدىّ

أحملُها فوق الصدر

أحاورُها . . وأعانقُها . . .

. . . .

- لو تأخذنا سِنةٌ من نوم

نصدأُ . .

لو يخمدُ فى داخلنا الشوقُ المتوهج

نصدأُ . .

لو كفّت أحرفُنا لحظاتٍ

نصدأ

نختصر العالمَ بين يدينا

نحيا عمقَ اللحظةِ عشقًا . . وفناءً

وجراحًا راعشةً

نكتبُ أسطورةَ عشقٍ

لم تُكتب بعد!

صرخة

يدركُ البحرُ
كيف يثورُ على الراية القائمة
تدرك الطيرُ
كيف تنقّر صمتَ الصخور
وتلتقطُ الحَبَّ . . والرحلةَ القادمة
تدركُ الشهْبُ موعدَها فى الهبوط
وموعدَها فى الصعود
وتدرك كيف تقطّر للعاشقين
حكاياتها الهائمة . !
- أيها القلب . .

يا من تحطم كلَّ مساءٍ قيودَك
كن جمرةَ تشْحذُ الحلم
تعرف كيف تسُلُّ المواعيدَ من قبضةِ الصمت
إنى أريدُكَ كالبحر . .
كالطيرِ
كالشهب الراجمة
أريدك
تكتب للعشقِ ملحمةً دائمة . !

خُدعة

يخرجُ «عمرو»
يطالبُ بالثأر . .
يملأ جَعبته بالجمرْ
وتراوده أحلامُ السُكرْ
– حين أوتهُ الزباءُ بعينيْها
رشّت ضحكتَها دفئًا . . ورياحين
– أدرك عمرو جريرتَه
طاف بعينيها . . يطلبُ صفحًا
لكنّ «الزباء» . .
كانت سنبلةً شاردةَ تصعدُ
فى عُزْىِ الصحراء
تُخمدُ صيحاتِ الثأرِ العربى . !

اعتراف

ما بين فمى والكفين
مسافاتُ طعامٍ . .
وسلامٍ . .
وحوارْ . .
ما بين القطبين . . نفورٌ
ولهيبٌ
وحصارْ
تلتفّ على عُنقى أفعى
لا أدرى من غذّاها
أو اطلقَها

تصعقنى بالسِّم وبالنارْ . .
لكنْ . . ماأدركه الآن
أن الوجهَ العربىَ استلقى فوق الطين
فاسودَّ
وارتد . .
وافتقد ملامحه فى وجع الإعصارْ
وانغرستْ فى قلبِ القَلب
أسئلةٌ لا تهدأ . .
يجرفها لهب التيارْ . !

البديل

زمنٌ مستحيلْ
ولونُ الحروف . . عليلٌ
عليلْ
وقُبّرةُ الحُلمِ فى عشّها المستكين
فهل يُعلنُ الشعرُ هجرتَه الأبديةَ
أم يكتفى بالقليلْ . .
وهل ينهضُ القلب من كبوةِ الصمتِ
أم يكتوى بالذبولْ
- زمنى . . مستحيلْ
وكل الذى يُلهمُ الشعر . . ياصاحبى . .

منهكٌ . . وكليلْ
والرياحُ تجىءُ بغير الذى نشتهى
والبديلُ . . ثقيلٌ
ثقيلْ
زمنٌ مستحيل . .
فأىُ القصائد - ياصاحبى - الآن
لا تستحيلْ . !

حسبُك . .

لا تكتب شيئًا هذى الليلة

ترتعشُ الآن الأسئلةُ

فتصهلُ أحصنةٌ

وتفرّ غزالاتٌ

تهوى مئذنةٌ

تصرخُ شرنقةٌ تعلنُ موتَ الأشجار . .

– كان الفرسانُ العشاقُ يطوفون علينا

كلَّ مساء . .

كانوا يشتعلون قصائدَ

يحترقون . . مواجد
يقتسُمون مواسمَنا الخضراء
- كانوا يُلقون إلينا السَّمعَ . . وكنا . .
يحتملون إلينا القهرَ . . وكنا . .
يخشوْن علينا الشعرَ . . وكنا . .
- يومًا . . داهم أسوارَ مدينتنا السّفهاء . .
فر العشاقُ الفرسانُ . . وغابوا .!
ساعتها صحتُ . . فما استمعتْ أذُنان
غنَّيتُ . . فلم تصغِ الجدران
كان الشعرُ بحلْقى جمرا
ووصايا الشعراء . . دخانا . .
- صاح الصوت الغائب:
احملْ عنى هذى الأوجاعَ . . ولا تهرُبْ
جرّب . .
فالشعر طويلٌ سُلَّمُه . .
لا تتهيب . .

لا تستسلم . . وتأهبْ . !

. . . . . .

- الليلةَ . . لن أكتبَ عن أحلامِ الشعراء

تلك وصاياهم تسّاقطُ فوق النّطْعِ . .

رفاتا

لا تُبقى فينا غير الدمْع المخنوق بحبْلِ الصمت

لا تُبقى . . إلا ظلّ الموت . !

الرؤيا

صاح : ياولدى
(لا تقصُص رؤياك على إخوتكْ فيكيدوا لك!)
قلت : تحرّقنى نار الرؤيا
تطلق نَسْرًا لا يملكُ أجنحةً
شجرًا لا يطرح ثمرًا
شلالات مياهٍ مالحةٍ تخطئُ مجراها
. . . .
ويواعدُنى شيخى فى خَلوته
- لو أصمتُ عن بوْحى -
وأظل أُسامِرُ ليلِى بقصائدَ طازجةٍ
تحمل للعشق تقاسيمَ

وللوجد . . ترانيمَ . .
ويرقُبنى الإخوةُ من خلفِ ستائِر شباكى
أقسم إنى أحلُم فى جُبِ الظلمة

. . . .

لكنَّ الإخوة - كل صباح - يوشُون :
أن فراشى فى الليل . .
كان الملكوت الفِضىّ
وكان السرّمدَ . .
والمسجدَ . .
والمعبدْ . !

. . . .

- أفتونى ياعشاقَ الرؤيا فى رؤياى
فى طرْف لسانى . . بوحٌ . . وظنون
وعلى جيدى . . سيفٌ مسنون . .
وأنا . . أخشى أن تخطئَنى الرؤيا
فيفارقَنى هذا الوجدُ المجنون !

الوجع

- ماذا بعد .؟
وأنا أشهدُ كلَّ الأوجهِ تتلوَّن
والعجزَ على الأفواه يُدمدم
ودماءَ السهرة فوق الأثوابْ . .
- ماذا بعد .؟
هل آن لقلبى أن يرتابْ
ويكذبَ ما كان . . وماغابْ . .
ويصّدقَ أن سلامَ القلب
أصبح مسفوحًا بالأنيابْ . .
- ماذا بعد.؟

وأنا أتلفّتُ خلفى ليل نهارْ

وأشدّ الجلدَ على شُريان العارْ

أوصد أبوابى . . وشبابيكى

لا أسمح للنورِ . .

ولا أسمعُ للجارْ

أتأبط سكّينى فى صحْوى . .

فى نومى . .

أشقى فى دائرةِ حصارْ . .

– ماذا بعد.؟

هل حلّتْ لعنةُ فرعونَ الأولى

أم حلَّ الهمْ . .

هل تنتظرُ الأقلام القصفَ

وتنتظر الأوراق العصفَ . .

ونرضى فى دنيانا زمَّ الفمْ . .

. . . .

- تعالوْا ياشهداءَ الكلمة

- أحياءً . . أمواتاً -

هذا زمنُ الوجعِ الدامى

يُعلن محنتَهُ الآن . .

فاختاروا . . . .

اختاروا أن تحَيوْا زمنًا آخر . .

أو . .

فانكسرُوا عجزْا فوقَ الأعناق!

بكائية

[إلى سراييفو]

- أحدٌ . . أحدْ

ما من أحدْ . .

فى الصُور ينفخُ . . أو يعيدُ الوجهَ

من لون الكمدْ . .

من من أحد

آلى على جفْنِ الدماءِ

وجاء يُنجزُ ما وعدْ . .

والعينُ تشهدُ . . والقلوبُ

وأنةُ الأطفال . . والراياتُ

والصلواتُ تُذبحُ فوق رملٍ يتقدْ . .

ومآذنٌ كسَرَت أذانَ الفجرِ
فانعصرتْ شُموسٌ
قطّرت آلامَها فوق الزَّبْد . .
- الحلمُ كان . . ولم يُعدْ
- والصمتُ يُخرسُ قادةَ الدنيا
ولو صاحت بقلبِ الليل عاهرةٌ
لهبُّوا . . .
- إنه صوتُ الجسدْ! -
- أحدٌ . . أحدْ
ما من أحد
لبّاك . . ياصوتًا يُبَحُّ على حناجرَ لا تُعَدْ
- ما منِ أحدْ . .
يبقيك فوق مآذن الإيمان غصنًا ينعقدْ . .
- فرسانُ هذا العصر . . مأجورون
يومًا لليسار . .
ويوم يغريهم يمينٌ . . يهُرعون

فما الذى يبقى لتعرفَ من عدوُكَ من صديقك
من تَرَى فيه السِّندْ!
- أطفالٌ هذا العصر مسفُوحون
لايدرون من آباؤهم
أوطانُهم
ياضيعةَ الدفءِ المجنّح . . والولدْ . .
- كتاب هذا العصر منهوبون
هم يطلقون بَخُورهم فى كل زاويةٍ
وضائقةٍ
ويشيّدون بروجَهم
فوق الجماجمِ . . والجمائم . .
يُشعلون حرائق الدنيا ويجنُون المددْ
- حكامُ هذا العصرِ . . مقهورون
فوق المسرحِ المرسومِ
أدوارٌ . . وأرقامٌ
عُقابٌ . . أو حمارٌ . . أو أسدْ

- أحدٌ . . أحدْ

ويلاه . . حتى ما نَخالُ من الصَّدىَ

لفّته ريحُ الليلِ فى كفنٍ

وألقته ذليلاً . . للأبدْ . .

- اليوم نبكيه معًا

أم أننا نبكى انطفاءَ النورِ فى دمنا

ولونَ عيونا المقهورَ

والقسمَ القديمَ وقد جَمَدْ

- أحدٌ . . أحدْ

ما من أحدْ

يصحو من السكر الذى أدمى القلوبَ

فأصبحت فينا البدد

ما من أحدْ

ما من أحدْ!

الأسئلة

(نحن .. وهم)

- أنسقطُ أم يسقطونْ

أنُقتلُ . . أم يُقتلونْ

أصيدٌ ثمينٌ غَنِمناه . .

أم أنهم صائدونْ . .

- ترُي . . كيف تحضُن عيناي كلَّ الحدائقِ

حين اختفي الياسَمينْ

وكيف تظلُّ السماءُ خَلاءً من النجمِ

ثم نغنّي لها حالمينْ

وكيف تموتُ المواسمُ حين يجئ الحصادُ

ونلعنُ وجه السنينْ . .

- أوجهٌ كئيبٌ نطاردُه . . أم جنونْ
ونجلسُ حول الموائد . .
والحلمُ منكسرٌ في العيونْ . .
فَطَوْراً نبدّل لون الحوار
ونلبَسُ ثوبَ الوقار
ونعلنُ أن السلامةَ أمرٌ يسيرٌ
وأنّا لها مالكونْ . .
وَطَوراً . . يضيقُ علينا الحصار
فنذكر أيامَنَا بانتصار
ونفخرُ أنا الملوكُ . . وأنا البطولةُ
أنا هنا الفاتحونْ . .

. . . .

- أنقدرُ . . أم أنهم قادرونْ
- أنملك مثلهمو أن نكفَّ اللَّجاجَ
وثرثرةَ الليل حول الذي كان . . أو ما يكونْ
- أنملك مثلهمو أن نُحيلَ الحروفَ رَصَاصا

وأثوابَنا الفاتناتِ . . دروعا

وأحلامنا الساطعاتِ . . بروقا

- أنملك مثلهمو أن نقطّر في الكأسِ صفوا

وندركَ أن قليلاً من السُّم

لا يُصلحُ اليوم فينا البطوَنْ . .

- أنقدر أن نتناسي الحكايا القديمةَ

نمحوَ ما حدَّثت شهرزاد

وننسي سليمانَ والجن . .

ننسي طيورَ الخرافة

ننسي الأفاعي . . وما كان من سندباد . .

- أنقدر أن نتخلصَ من حِكَمِ الصالحينْ

ومن صلواتِ الأنينْ . .

ونعرفَ أن الذي شاء أن يعبدَ الله

لايعبدُ الله كالعاجزينْ . .

- هل يري الحكماءُ . . وهل يدركونْ

- أهو الجوعُ قبلتُنا . . أم هوي الحاكمينْ

أهو الوطنُ المستباحُ
تموتُ العصافير فيه . . . نغني!
وتجري بأنهاره كلَّ يومٍ دماءٌ . . . نغني!
وتُشنقُ فيه الحلوقُ . . . نغني!
- أنسقطُ أم يسقطونْ
أنقدر أم يقدرون
وهل سمعَ الشعراءُ . . وهل يدركون
- قدرٌ أن نعيش . .
قدرٌ أن نهون .!

الذهول

- آه لو تدركُ الخيلُ
أن الصهيلَ احتجاجٌ
وأن احتجاج الخيول مصاهرةٌ لاشتهاء الرحيل
- آه لو تتأنى الكلاب
لتدرك أن النُباح يعيدُ النبوءةَ
من ليلها المستحيل
- آه لو تدرك الشمس
أن بلادىَ مظلمةٌ
والطواوِيسَ مقبلةٌ
والخرائطَ مجهضةٌ

والبيوتَ طلول . .

- صوتُ من يضحك الآن

صوتُ من يحتويه البكاء

وكلانا سواء

سقطت كلُّ أسناننا

وشحذنا السيوف لنغمدَها فى قناديلنا

ونصمٌّ عن الحب آذنَنا ثم نبكى جهالتَنا

نكتفى بالذهول . .

- أينا قاتلٌ . . أو قتيل

أينا شائهٌ . . أو جميل

أينا شامخٌ . . أو ذليل

الدماء جهلنا منابعها وامتدادَ النسب

ليتنا ندركُ الحلم . .

أو نقترب . .

ليتنا كالخيول . .

ليتنا نركبُ المستحيل!

أستراحة

هو المحاربُ استراح فوق رمحه
يلتقطُ الجراحَ . . والرياحَا . .
مازال يلبَسُ الخوذةَ والسّلاحَا
ويشعلُ القلبُ عنادًا
يعصرُ النجومِ فى يديه . .
يكسرُ النصْلَ على النصلِ
ويثخَنُ الجراحَا . .

. . . .

مازال جمرُ الشعر داخلى
وخمرةُ الكئوس تقطرُ الندى المباحَا
مازلتُ أشعلُ المطرْ . .
أحيلُ بحرَ العشق أدمُعًا . . ونارا

أمنحه العرائس الملاحَا . .
- لكنما البحرُ استحال جزْرا
تمردت أمواجُه . . وسافرت جِمَاحَا
حتى الرمالُ فوق شطه القريب
ظلّت على عشاقها . . شِحاحَا . .
فكيف بعدُ أطلقُ الجناحَا
يأسرُ ماغاب . .
وما استراح خلفَ غابةِ الليلِ
يحطم الأقداحا . .

. . . .

الآن . . أستريحُ برهةً
ألتقطُ الجراحَ . . والرياحَا
لكى يظل داخلى الوهج . .
يشعلُ فى أوراقىَ الصباحَا
يفجّرُ الصمتَ القديم
يشحذُ النصلَ بقبضتى
ويطلقُ الرماحَا . !

الزمانُ العَصِرّ[1]

أريدُ مـن زمـنـى هـذا يُـبـلّـغـنـى

مـا ليس يبْلُغُـهُ من نفـسِـه الزمـنُ

(أبو الطيب المتنبى)

سكرةُ.. أم جنونْ
أم أراها الرياحَ تُزلزِلُ
شوقَ العيونْ..
وتزرعُ فى الرملِ نخلاً
وفى البحر أشرعةً
وبقلب الصخورِ.. غُصُونْ..
أقرأ الآن سفرَ الزنابقِ
يمتشق الآن بين يدىَّ
النهارُ الجديدُ..
ويخترق الجلدَ أسطورةً

وتضيقُ الشوارعُ
تُطفىءُ كلَّ القناديلِ
إلا اتقادَ الجفونْ . .
أيها الشعرُ ماذا دهاك . .
أيها الشعرُ . . تلك الحصونْ
تتزلزلُ بين يديكَ . .
وينهمرُ الغيمُ خيْلاً
وملحمةً من جنونْ
فلماذا ارتضيْتَ البقاءَ
على جانب الدرب
ترصُدُ ما قد يجىءُ
ومالا يجىءْ . .
أكذا أيها الشعرُ تعجزُ عن لغةِ الحب . .
ـ لا أرتضى أن تهونْ! ـ
والنهار تَفجَّرَ شمسًا
وخصْبًا

ووشمًا على الصدرِ
وشماذً على الكفِ
فوق الجفونْ . .
ـ اخترقْ أيها الشعرُ تلك الحصونْ
وشيِّدْ من الآن أهرامَك المستحيلة
ظلِّلْ بها العمرَ . .
ظلِّلْ بها ساحةَ العاشقينْ!

صفو

ظبيٌ إلى حُرمةِ العشاقِ
ينتسبُ . .
رميتُهُ . .
فانتحى . . يبكى . . وينتحبُ . .
ألقيتُ سهْمى . .
وأعلنت الوفاءَ له
فلاَمنيِ . .
والهوى فى القلب يضطربُ . .
فقلتُ: عُذْرًا
حباكَ الله نُضْرَتَه

فكنتَ لى نعمةً
تصفُو.. وتنسكبُ..
يا حُسنَ ما سرَقَتْ عينى محاسنها
وسرقةُ العين لا يُجدى بها عتَبُ..
الحدُّ يقطعُ أيدى السَّارقينَ
وليس.. يملكُ الحدُ
قطْع العيْنِ.. أو يجبُ.!

المأوى

عمرًا من الوداع واللقاءِ
لم أغادر فيه مأوايَ
الذى احتوانى داخلَكْ
عمرًا من الصقيع والدفءِ
استحالَ فيك الحبُ
نارًا واكتمالاً . . وسنى .
البحرُ فى صدرى أشقةُ نصفينْ :
نصفًا نقشْتُ فوقه قصائدى
ونصفَه الآخر . . سرْ بَلَكْ
وفى نهاية الموج أرى الميناءَ دلتا

وجهُكِ الحبيبُ فى لقاء حدَّيْها. . فلَكْ. .
لبيَّتُ مادعوْتِ. . حتى صارَ بيننا الحوارُ
قنديلاً يُنيرُ فى الحَلَكْ. .
معًا نُجسِّدُ الحلمَ الذى غاب طويلاً
فى الشِّعابِ واحتلَك
ونزرعُ اللوتَس والنُّوارَ
لا نغادرُ المأوى. .
ملكيتى أنت. . بقلبى
وأنا منك الملَك!

١٩-٩-١٩٩٢

الفراشة

أمتطى صهوة النار حين أحدثكم

أصدقائى

وأراكم بزاوية من زوايا النظرْ

ـ حين تَنبُشُ أظفارُكم رَحِمَ السِّرِّ

تنتزعون جَنينًا . .

ملامحه من ملامحِكم أيها الأصدقاءْ

ـ لكم من همومى انتمائى

تشيبُ بكم طفلتى

ويلذُّ بكم ظمئى . . وارتوائى

وأخبِّئُ دمعاتِكم فى بكائى

- الفراشةُ!

من أجلكم ألعقُ الجمْرَ

من أجلكم أفقدُ النطقَ والسَّمعَ

أبتلعُ النارَ . . أرْضَى احتضاري

- انتمائى إليكم

فلا تحرقُونى على أحرفِ الصمتِ

إنى أعانقكمْ - بانصهارى!

١٥ - ٣ - ١٩٩٠

توجس

لِلُّغات مفاتيحُ
أبوابُ.. ألوانُ
خارطةٌ.. ومدائنْ
وبقارورة القلب عيناك
سرّانِ..
عُرسان
كلُّ اللغات الجديدة
أى شادية حوَّمتْ فى ظلال المدائنْ!
أى غيث يزغردُ فى القلب
يغسلُ كلَّ الضغائنْ..

لملمى الآن أطراف خطوى الشَّريدْ
أسرجى الخيلَ . .
فكُىَّ وثَاقَ الرهائنْ . .
فى يديك المفاتيحُ
والقلبُ حصنٌ
وعيناكِ . . عرسانِ . .
والليلُ . . .
- يا ضيعة العشق حين يخاصمُنا الليلُ
يلفظنا من جحيم المداخن!

صراخ الصمت

(إلى الفنان أحمد شيحة)

ظامئًا عُدتَ
تشربُ نيلَك ثانيةً
وتُقلِّمُ سَعْف نخيلكَ
تنحِتُ قلبكَ
تغرسُ عوجسةً فى هشيم القبورْ
أترى . . عودةَ الياسمين
أم تراها الصخورْ . .
بين كفيك تسكُنُ مثلَ اليمامةِ
تقرأ فاتحة الحُلم
تنثرُ كلَّ البَخُورْ .

ـ هكذا نلتقى الآن
أىُّ رحىً يا صديقى . تدورْ . .
زمنٌ للصراخ
وألف زمانٍ يُقيّدُ صمتَ اللسان
فهل رعشةُ اليد تُفلحُ يا صاحبى
أن تمدَّ الجسورْ . .
بيننا لغةٌ تتحدى غيومَ الزمان
أمسكِ الآنَ سيفَك
إن يدى السَّيفُ . .
لا تُغمدِ القلب يا صاحبى
أشعلِ الآن عينيك
ما بين ليل . . ونورْ . .
النسورُ على قمةِ الليل ترقبُنا
هل تودُّ النعاسَ
فتنفضَّ تلك النسورُ

وتنهشَ لحمَ الحروفِ
وتشربَ من قصباتِ النُّحور . .
ـ أطلق الآن حلمَكَ
إن القناديلَ مطفأةٌ
وعلينا احتدامُ الفتيلِ . .
علينا اكتمال الخُطى
فى الزمان القصيرْ!

١٢ ـ ٦ ـ ١٩٩٣

السر

- يُنبِّؤنى الموجُ أن عيونَكِ
سوف تبوح . .
وأن العصافيرَ سوف تسائلُها
وعيونَ المها ستعانقُها فى السُّفوحْ . .
وأن زمانَ التوهج
سوف يفضُّ أساطيرَ صمتِكِ
من عصر نوحْ . .

ينبؤنى الموجُ
أن الملكيات فى اليم يرصُدْنَ عطرَكِ

يصرُخْن فى وجه أشرعةِ الليلِ . .
يسألن: ماذا بشطَّيْكِ أنضرَ
يندُبْن وهْمَ الجروحْ . .
ـ تجهلُ الآن كلُّ الملكيات
أنك قابضةٌ برقابِ العباب
وأنكِ حاضرةٌ فى الغيابِ
وأنك . .
ـ مثل لهيب القصيدة ـ
مولعةٌ بالجموحْ!

المسافة

لم أتخذْهُ صاحباً . .
لكننى أرخيْتُ ما بينى وبينَهُ
مسافةً . . وجانباً . .
وحينما التقينا فجأةً . .
رأيت عَرْضَ الأرضِ والسَّماء بيننا
رأيت أمطارَ الشتات أغرقتْ لقاءَنا
ويومها . .
نزعتُ غُصَّةَ الوهمِ التى تُثقلُنى
ورحت أحرقُ الأشجارَ فى الطريقْ
أجعلُ المسافةَ التى تفصلُنا
عمرًا من الصقيع . . والبروقْ . . !

جفوة

أطلقى الآن نهرَكِ
يوشكُ أن يُخْنَقَا
والحمامُ الذى ظل تلفَحُهُ الشمسُ
يوشكُ أن يُحرَقاَ
لملمى الريحَ . . والسُّنبلاتِ
وخِصْبَ الحكاياتِ
وردَ الرياحين . .
كلُ الذى قُيِّدَ الأمسِ
يحلُم أن يُطْلَقاَ
سَفرٌ أنت

والقلبُ عندى جَناحٌ
وكفّاىَ وردُ المطاراتِ
أخشى على جَذْوةِ الشعرِ أن تخفِقَا
ذاك جيشُ الجرادِ على جبهة الليل
مُنتظرٌ
يتحيّنُ غفلة أعيننا . .
نهرُكِ الآن ـ بين يديك ـ اختيار
وكلُّ المسافات بينى وبينكِ
تشتاقُ أن تورِقَا . . !

انطفاء

كَفَى . . كفى . .
تقطعتْ أوصالُ هذا الحبِ . . وانكفأ
وراح مغشيًا عليه
والوجيبُ حوله . . غفاَ . .
فمن يعيدُ للغزالِ خطوَه الرشيقَ
من يعيدُ شعلةَ البوحِ
وكلُ ماكان يشفُّ بيننا . . اختفىَ . .
القلبُ مشطورٌ . .
عليك وحدَك الآن تعيدينَ الذى انطوى
كان الذى ما بيننا نهرًا من الياقوت

مثمرًا.. وطيبا
فغام.. وانطفاَ
كفى.. كفى..
ثمار هذا الحب حِصْرِمٌ
والشعرُ قد تبدَّد الآن
رؤىً.. وأحرفاَ
فانطلقى الآن لأى حقل غير ساحتى
فكل ما يشفُّ بيننَاَ
اختفى!

هوس

شاهدتُ غريمى يجذبُها من مِرْفقِها
ويسيرُ بعيدا..
كان يُسِرُّ إليها أمرا..
ويحذِّرُها من هوسِ الشعراء..
عادت لى تشكو وجعًا فى القلبِ
ووقْرًا فى الأذنينْ
قلتُ لها:
هَوَسِى بعيونك حمدٌ للوهَّابِ
وشكرٌ للآلاء..
هل أملِك أن أعطيها ظهرى

أو أعْصى ربى كفرًا بالنعماء..!

. . . . .

نزعت صاحبتى من إذنيها طِمْىَ الخوف

ألقته فى وجه غريمى..

صاحت: عفواً..

لن يرحمنى الله..

إن أوقفتُ النهرَ عن الجرَيان

أو آثرتُ العصيانْ!

ثلاثة أصوات مدببة

الصوت الأول:

لا تسألنى عن ماءِ العين

فالماءُ بكل الأشياء

ماء.. فى الصخر

وماءٌ.. فى النهرِ

وماءٌ.. فى البحرِ

وماءٌ.. فى التلِ

وماءٌ فى السهلِ

وفى عينى.. ماءْ..

فلمن أشكو وجعى

حين يفيضُ الماء
ويحلُّ الطوفانْ!؟

الصوت الثانى:

حين يضيقُ العالَمُ فى عينىْ
يصيرُ الحجرُ الأصغرُ.. طوْدا
والطودُ يصير بعيْنيِ.. غيْما
والغيمةُ.. أفْقاَ..
لكنَّ سماءَ المهمومين
حينًا تغدو حُلماً ونعيما
حينًا تغدو وهماً وسمُوما
لا فرق لديهم بين الظلمةِ والنور
بين الطاعة والعصيان
بين النجم إذا يُشْرقُ أو يغْرُب..
.....
الكل سواءٌ فى نكبات القلب!

الصوت الثالث:

قفْ!

لا تقعُدْ.. أو تستَسْلمْ

عشْ ممتشقًا في أقدامك

فإذا بتروا ساقيْك

قفْ..

قف فوق يديك..

فاذا شُلَّت.. فعلى رأسكَ قفْ

فاذا انفجر الرأسُ شظايا

قف - يا مقهورُ - على ظهرك

فاذا كسَرُوا الظهر

فابحث عن قوقعة أو شرنقةٍ

أو كهفَ مهجور..

وتخلَّصْ من هذا الإنسانْ!

غياب

للطير مواسمُ هجرته
للنيل مواقيتُ الفيضِ
وللإبحارِ مواسمُهُ
لكنكِ يا سيدةَ الماءِ
فقدت سنابلَكِ الخيرةَ
شكوتِ شحوبَكِ للطيرِ
وللنيلِ . .
وللبحرِ . .
فأعطوْكِ جوازَ السّفرِ إلى شطآن أخرى!
ماذا عنك الآن

وماذا عنّا
ماذا لو نصحوا أن نبحثَ عنك
فنلقاك على شفَةِ الموج
دموعًا مالحةً
وحَماماً منكسرًا
ماذا لو نلقاك بقايا ذاكرةٍ
فى قاع الصمتْ..
ماذا عن هذا الموتْ!؟

العرس الدائمى

صعدَ الشيخُ الأكبرُ منبرَه
يومَ الجمعة . .
أمسك طائرهُ بيمينهِ
وطوى فى يسراه سحاباتِ الغيث . .
قَطَّرَ عُرْسَ القلبِ
وفَرَحَ العينينْ
ولوَّح بالكفينْ . .
وابتهل إلى رب الملكوتْ
أن يحفظَ زائرنا الأعظم
ويديمَ لنا خصْبَ الشطين . .

نسى الشيخُ الأكبرُ فتواه عن المحزونين
المذبوحين..
المصلوبين على أرصفة الميناء..
حين وقفتُ أقاطعه.. أسألُه عن فتواه
ساق العسسُ إلىَّ قوافلَ زائرِنا الأعظم
تتهادى فى الحُلل الذهبية
وبداخلها زمنٌ مصقولُ الحدْ
وفتاوى داميةٌ..
كاملة العدْ!

كان

شجرُ الحلم يَنبُتُ فى مضجعى
والفراشاتُ.. ترقصُ.. تلعبُ
حتى إذا بدأت شهرزادُ حكاياتها
سكَنَتَ فى حِمَى إصبَعِى.!
طَوفى.. شهرزادُ..
بنا شغفٌ للهوى المُمتع
كل شىءٍ هنا.. قَرٌّ فى مسْمَعِى
كلُ شىءٍ نأى.. هشَّ فى أدمُعِى
كان هذا زمانَ الهوى المولَعِ
ثم هبَّتْ رياحُ الأسىَ الموجعِ

جفَّ فى مضجعي
شجرُ الحلم. . . واحترقتْ فى الحكايا الفراشاتُ
صارت رمادًا يُسوِّدُ لى إصبعى!
أتساءلُ. . يمضى السؤالُ. .
ولا يهبُ الخطوَ للزمنِ المُسرِعِ
قيل لى بعد أن بُحَّ صوتُ الحروف:
اتَّئد. . .
إن هذا زمانُ تخثَّرَ. .
حتى استباحت ثراه الأفاعى
وبثَّت لغاتِ المزابل
أزهقت النورَ فى صفحات المشاعلِ. .
كيف يعود الصدى. .
كيف كيف يعود الصدى بالهوى المولَعِ!

سؤال

ما بين العينِ
مسافاتٌ . . ورؤى غائمةٌ
ولغات . .
ما بين الكفَّينِ
صحارىَ . . ومدىً لا يتوقفُ
وشِكاياتْ . .
ما بين الماضى والآتى
أطفالٌ . . وحشاشاتْ . .
. . . .
هل من أحد يُخبرنى

عن أرض.. لم يُرهقْها خطوٌ
وسماء..
لم تُرهِقْها زفراتْ!؟

اعترافات عاشق

(إلى الأسكندرية)

تقومين من ليلكِ السَّرْمدىّ
عروسًا
ومعشوقةً
ومطاردةً من زمان المحنْ . .
قيل : كلُ النساء يشاغلْن كلَّ الرجالِ
فيشْهرْنَ فتنتهُنَّ
ويُسْقطنَ أعمارهنَّ
ويُبْعَثْنَ من ظلماتِ الزمنْ
لكنَّ معشوقةَ القلبِ ليست ككلِ النّساءِ . .
اشتياقُ العيونِ . . قديمٌ

ولونُ الشفاه.. قديمٌ
وهذا الشراعُ الذى سكَنَ القلبَ..
لم يُمتهنْ..
قيل: تكثرُ عشاقُها
تتعددُ أسماؤها.. وعناوينُها.. ومنائرُها
كيف تعرفُها بين تلك المدنْ؟!
قلت: فى يدها خاتَمُ المُلْك
فى بحر أعينها الفُلْك
فى كأسها.. يتناهى الزمنْ..
إنها ظبيةُ العشْقِ.. والشوْق
أذكر لُعبَتها المشتهاةَ
أعدُّ أناملَها.. وأخطُّ عليها الحكاياتِ
أذكر دمعتَها..
والأغانى التى حين أنشدها فى الصباحِ
تجدِّدُ شمس ابتسامتها.. فأُجَن..
ثم حين استوى العودُ

واحتدمَ الخَصْرُ
وانسدَلَ الليلُ
واستعرَ البرقُ
أقبل من زبَدِ البحر من يطلبُ العشقَ
كان لسانًا من الملحِ . .
سيفًا من الجُرح .
كان يخطو بهدبيْه بين يديْها
وينثر أحلى اليواقيت . .
كلَّ الثمنْ . .
ساءَلَتْهُ عن الحلم . .
قلت : أنا . . وطنى فى عيونكِ
حين يَعزُّ الوطنُ . .
وأنا . . قبلةُ القلب صَوَبَ جبينكِ
حين تهبُّ المحنْ . .
وأنا . . المُلْكُ والصولجانُ بكَفَّيْكِ

حين أريدُ السَّكنْ . .

. . . . . .

أقبلت طفلةُ الحبِ هائمةً تملأُ الكأسَ لى
إنها الآن تُقبلُ من ليلها السَّرمدِى
عروسًا . .
ومعشوقةً
وأنا . . فى هواها أجنْ
فى هواها . . أُجنْ!

رسالة فى القرب .. والعُتْب

لم أكن بالغاً منك غيرَ احتدامِ المواعيد

غير انفراطِ المواجيدِ

غير السكنْ . .

فلماذا انصهرتِ شظايا على أول الدرب

والعشقُ يقضى بأن التقاسم فى كل شىءٍ

يلمّ الجراحَ، . . ويشفى المحنْ . .

أى قُرب تريدين . .

قُرْبَ السَّلامةِ والدفءِ

عافيةً فى ضلوعىَ . .

أم قربَ من يهبُ العطفَ والخوفَ

حين تشقُّ الرياح قلوعيَ . .

والحبُ يقضى بكفينْ

كف عطاءٍ . . وكف شجنْ . .

أترين الملامَ يَسيراً على النفس

حتى أرانى أطيّرُهُ نحو عينيْك

أم أن فى وجهك الآن صمتَ الملامح

فى وجهك الآن يسْرى الوهَنْ . .

شدةُ السُّقْم فى القلبِ

فاحتكمى الآن . .

لليل . . للشعرِ . . للموعدِ المرتهنْ . .

سوف تلقيْن حلميَ مازال بين يديكِ

وحلمُك . . ينأى مع الموجِ . .

يحملهُ الفلْكُ

يبحثُ عن قطعةٍ من وطنْ!

٢٣ - ٢ - ١٩٩٠

رسالة فى الألم.. والسأم

انزوى القلبُ عن كل قلب
وغاضتْ عيونُ الطواويسِ عن كل عينٍ
وحطت صقورُ الألمْ
لم يعدْ سفْرُ أيوبَ يكفى
ولا صبرُ أى نبيٍ
ولا صخرةٌ من جدارٍ أصمْ
لم تعد كلُ تلك الذنوب التى احتدمتْ
فى الزمان القديمْ..
إنه الوجعُ المتجِّددُ
يصعدُ من فتحة القلبِ

ثم يحلّق فى الأفق . . رُخّاً
يحيلُ الصفاءَ الجميلَ . . حجاباً
ـ ليتنى أعرفُ الآن أطرقُ بابا ـ !
وتلبى صراخى طيورُ الخرافة
تكسر فى القلب قيد السَّأمْ . .
كلُ شىء هنا ينقسمْ
فلمن أحتكمُ
وبمن أعتصمْ
وأنا مُذْعِنُ رغم أنفى
ومنقسمٌ بين ضعْفى . . وخوفى
يراوغنى الوجعَ المرُّ . .
يُسقط فى القلب حتفى . .

. . . . .

ليت أن المقارض تشطُرنى مرة
والقوارض تنقرُنى مرةً

وأعود من الألم المر بعضَ فتاتْ
ليت قلبى يباغت حلمَ الطيورِ
وصمت البيارق فى الليل
أعزفُ كونًا سحيقاَ
... ليت قلبىَ يحسُو الرحيقاَ..!

٣٠ - ٢ - ١٩٩٠

رسالة فى الأسر..والصهر

أجيئُكَ شعرًا

فُتحكِمُ قيدَك فوق يدىْ

أجيئك عشقًا

تسدِّد للقلب سهمًا شقىْ

فماذا عن العهد حين التقيّنا

وماذا عن الوِرْد حين تلْونا

وماذا عن الحزن فى مقلتىْ

تقول العصافير وهى تنقّر نافذتى:

أيها الفارسُ المتململُ

شقَّ جدَارك وأصْهَرْ حديدَ النوافذِ

فالموتُ موتٌ . .

وقيدُ الزنازنِ . . موتٌ . .

وتلك القصائد فى منحنى الدرب تدعوكَ

تركبُ صهوتَها . . فى النهار العتىْ . .

أيها الفارس المتململُ

لا تَخْشَ صدرك تضربهُ الريحُ . .

ما العمر إلا جناح يطير

مغامرةٌ فى المنافى . .

سأعطيك سرَّ العصافير حين يباغتها

خطرٌ من عدو شقىْ . .

ها أنا الآن بين يديكَ

تُحدِّثُ عنى القيودُ

ويحملنى العشقُ فى راحتيْه

يتوّجُنى ملكًا بالسَّنا والحُلِىْ

قد أبَيْتُ السكينةَ

أنصهرُ الآن فى النارِ
تُكسبُنى الومْضَ.. والألقَ السَّرمدىْ
فاقْبل الآن خطوِى - إن شئت -
أو فاشْحذِ الآن سيفَكَ
أَصْهرهُ حين يلمسُ صدرِىَ
أُطلقه شعلةً
للذين يريدون أن يكسرُوا قيدَهم
فى يدىْ. !

٢٥ - ٤ - ١٩٩٤

رسالة فى القرق.. والأرق

أخرِجنا يا سيدنَا من صمتِ القلبْ
أخرجنا من صلَفِ السُفهاءِ
ومن غابات يملكها القتلةُ
والعسسُ المترقب فى مفترق الدربْ..
أخرجنا يا سيدنا من هذا الكربْ
هذا زمنٌ يحملُنا فى فكيْهِ
يصعدُ.. يصعدُ.. يُلقينا من فوق السُحْبْ..
نهبط فى حُفَرٍ.. فى صخرٍ
فى بيداء..
وعلينا.. تجتمع صقورٌ

تقتتل وحوشٌ
نغدُو الصيدَ الأشهى. . والنهبْ. .
هانحن دُمىً فى أيدى من يملِكُنا
نتشكلُ فوق خرائطهِم
بُقعاً حمراءَ. .
وأسلاكًا شائكةَ. .
وزوايا. . وخطايا. .
وسبايا حربْ. .
ها نحن انكسر الظهرُ ومرِضَ القَلبُ
وران على مفْرقنا الشيبْ
فمتى يا سيدنا تلقانا
ومتى تخرجنا مأجورين بلا ذنبْ
متى تُخرجنا من هذا الكربْ!

٤ ـ ٤ ـ ١٩٩٤

رسالة فى اللَّوْح، والبوْح

يقول لى!

لكننى لَمَّاً أُجبْ

قد جاءنى ولم أكن مهيئًا لما يَجِبْ..

يقول لى!

أكلُ ما يقال يا شيخى مقدرٌ

أم أنه قد ينقلبْ..؟

يقول لى!

فقلت فى نفسى: انسحبْ

فهذه الأقوالُ لا تَشْفِى

ولا تضىء شمعةً فى عالمٍ خَرِبْ

أين هو القول الذى

يُسقطُ أو يقيم . .

يضىءُ . . أو يلوم . .

يعيدُ للأيدى الخواءِ ما سُلِبُ

إن تستطعُ يا شيخنَا

تحيلُ قولَكَ القديمْ . .

رصاصةً فى عقل من يذيقنى الهموم

والسَّغبْ . .

ما عاد لى يا شيخنَا نسَبْ

فابحثْ معى عن نسبٍ

غير الذى جئتَ تقولُ لى . .

يصيبُ من يسبقُ خطوى مرةً

ولا يصيبنى ـ أنا ـ وينتهبْ

ابحث معى يا شيخَنا! . .

٢٥ ـ ٣ ـ ١٩٩٤

الأرض

(زلزال ١٩٩٤)

كرةٌ من عقيقٍ عتيق
أم تُرى هيَ تفاحةٌ غيرُ ناضجةٍ
أم هشيمٌ من الإثم والعظم
أثقلتها خطى العابرين
ذنوب المرابين
حزنُ الثكالى
وسمُ الثعابين!
حتى إذا أخذت زُخُرفَ الثوب
وازينتْ . .
نخِر السُّوسُ جُمَّارَها . .

شقَّ فيها اللحودَ التوابيتَ
بدَّل فيها المواقيتَ
أخرج ذا النونِ من باطنِ الحوتْ. .
- لجةٌ من ظلامٍ
فلا عاصمَ اليوم من غضَب الأرضِ
ها قد رأيتَ النجومَ استدارت
رأيتَ النجوم استراحت
وكنتَ تسائلُها - الليلَ - أسئلةً
وهى تُنصت مثقلةً
إنها الان تْلعنُ فرحَتَها
ودَّعت عالم الليل. . والجوعِ. . والأسئلة
- أىُ نخبٍ يُبدِّلُ أحزاَننا
أى بوحٍ يلوِّن كتْمانَنَا
والذى ظلّ بالأمس فى عرشِهِ سيدًا
لحظةً. .

قزَّمتْهُ الفجيعةُ أصغرَ من خَرْدَلَةَ

فلعلك تذكرُ ما فعلتْ نملةٌ بالأسد! .

إنها المسألة . !

إنها المسألة . !

لا يفيدُ التوجعُ . .

هذا الخرابُ الذى يملأ القلبَ

يملأ هذا الفراغَ الممدَّدَ ملءَ الفضاءْ

يسلبُ الأرضَ ما حَملتْهُ من الحب . .

ضاقت بنا الأرضُ . .

أنَّتْ بنا الأرضُ بعد السماءْ

فلتقترحْ أيها القادمُ ـ الغد ـ

من قبل أن تلفظَ الأرضُ وجهكَ

أين تريدُ البقاءْ!؟

٦ ـ ١١ ـ ١٩٩٤

الزمان العصى

سكَنتْ أضلعى

واستراحت على ساعدىْ

وأضاءت بليل الهوى مقلتىْ

صعدت سُلَّم الحلم . .

حتى استراحت على شرفة القلبِ

فى ظلها السَّرمدىْ . .

ـ أى هذا الزمانُ العصىْ . .

ضقت ـ أعرفُ ـ بالحب

حتى صرعت المحبّينَ

ثم ابتسمت ابتسام الشقىْ

ثم حين غفَلتَ . . انفلتْنا من القيد

لاحَقْتَنا بخُطى السأَّمرىْ

بَطَلَتْ أحجياتُكَ حين قبضتَ الثرى

فغُشيتَ به . .

واخترقْنا الجدار العتىْ

ـ أى هذا الزمانُ العصىْ

نحن بالشوق نطوى المفازاتِ طىْ

فاتخذ من كهوف الوحوشِ ملاذاً

وتُبْ توبةَ المستجير النقىْ

ربما تغفرُ الأرضُ خطوك ـ هذا الشقىْ ـ

أى هذا الزمانْ العصىْ!

٣٠ ـ ٤ ـ ١٩٩١

العصمة

حين اختلف الفقهاء على جسدى
اجتمع على رأسى طيرُ النقمة . .
أسقط عينىَّ حصَاتينْ . .
تعبثُ بهما الأقدام بليلِ العتمة . .
لو تلقانى يا سيدنَا الآن
لرأيت الجسَدَ النورانىَّ
امتلأ َ بثُورا . .
نقَّرَه الطيرُ وفَّر إلى عُش مجهول
شقَّ دروبًا . .
ومسافاتٍ ضائعةً

بين الأمةِ . . والأمة . .
اليوم انصهر الحلمُ العربىُ
على طاولةِ الجدلِ المحموم
اليوم . . استسْلم حَولَ المسألةِ الفقهاء
غابوا عن قبلتهم
وانصرفوا للطودِ الأعظم
انصرفوا . . يبغوُن العصمة!

١٥ - ٣ - ١٩٩٤

غفوة

كان طبيبي يتجول بين شراييني
يبحثُ عن سر الداء
أسرجَ خيلاً.. وأضاءَ قناديلَ
وسنَّ مقاطعَ
لكنْ.. مازال طبيبي يسمعُ مني الآه..
- قسَّمتُ همومي بين خزاناتِ الحكمةِ
حتى صارتْ ألفَ حكاية
وقصصتُ لساني حتى لا ينطقَ شيئا..!
- لا تسألني عن دائي
أين.. وكيفْ؟

فأنا ـ أحيانًا ـ يأسرنى دمعُ المقهورين

فأكونَ البلسَمَ. . والعطفْ. .

وأنا ـ أحيانًا ـ أعجز عن تغيير المنكرِ

حتى بلسان الضعْفْ

وأنا ـ آناً ـ أُمسى صعلوكاً

فتطاردنى فى الفلوات قبيلةُ عَبْسْ

وأنا أطلُب عبلةَ بالنوق الذهبية. . والسيف. .

وأنا ـ آنًا ـ أضحكُ. . أبكى

ووجوهُ رفاقى تعشَقُ أن تتلونُ

ألوانَ الطيفْ. .

هل تملك أن تنشُلَنى من هذا الجب

أو تعطينى للسيارةِ. .

تُسْلمنى لعزيز تشقيه الرؤيا

فأفسّرَ ماذا تعنى سنواتُ الخصبِ

وماذا تعنى سنواتُ الخوفْ

ـ هل تملك أشربةً
أو أربطةً
تشفى الجوعْ . .
وبطونُ رفاقى ضاقتْ بالأحزمةِ
ودمعُ الأطفال على الأرصفةِ . .
وعينُ عدوى . . سيفْ . .
ـ هل تملكُ بالخيلِ المسرجةِ . . وبالمقطع
أن تبلغَ بى عبلةَ فى الفلواتْ . .
أو تشرحَ لى سرَّ الألوان . .
ـ لا تسألنى . .
وتجولْ ما شئت
تسلّلْ ما شئت
تعلّلْ ما شئت
أو فاخرج من جسدى
واصحبْنى . .

اصحبنى نضربْ فى الساحات فقيريْن إلى الله
واكتب مثلى فوقَ الأشجارِ
وصايا الزمن المنهارْ . .
أصحبْنى . . . نفعل شيئا آخر . .
اصحْبنى . . نفعلْ شيئًا آخرْ!

٨ ـ ٣ ـ ١٩٩١

فى انتظار المطر

ساعةُ الصفر آتيةٌ

والدماءُ على شرفةِ القلب تُنبتُ وردا

ـ أيها العربى الشهيد

أمازلتَ يا صاحبى فى ليالىِ المواجع

تطلبُ وُدا . ؟

وهذى الطفولةُ تُذبحُ بين يديكَ

وساستُنا يشربُون دمانا

ويختلفُون على الأنصبة . .

ـ ساعةُ الصفر آتيةٌ

أيها العربىُ المغيَّبُ

هل أذهلتْك خريطةُ بيتكَ
تُسقطُ فيها الحوائطَ
تفقدُ فيها المفاتيحَ . .
تجهلُ غرفَةَ نومكَ
دفءَ كتابكَ . .
والوهجَ المتعانقَ فى ضحكات الصغارْ . .
ـ أيها القاعدُ الآن ترقبُ أن يحكمَ اللهُ
واللهُ لا يرحمُ القاعدين . .
أيها المترقبُ حُكْمَ المرابينَ
تشربُ فى صحةِ الشهداء كئوسًا من النَّفط
ـ أترى . . بلَّغتك الجماجمُ فى سجدةِ الفجرِ شيئا
أترى . . بلغتك الشجيراتُ عند «الخليل»:
العصافيرُ تهجُر أعشاشَها الآن
كى تتواعدَ فيها الصقورُ . .
وتملكَ أقدارَها

تتسكعَ فى طرقاتِ البَوار . .

ـ خارج الزمنِ المتَلاحقِ نمضى

وحين يفاجئنا الغيمُ نصلبُ ذاكرةَ الأمسِ

والغرباءُ بأهدابنا يملكون البصَرْ

ـ إنهم يذبحون القناديلَ . .

والموجَ . . والشعرَ . .

والوطنَ ـ الوهمَ ـ حلمَ الطفولة . .

والقادمَ المنتظرْ . .

ـ أيها القاعد المتشبِّثُ بالأرض

تُرى . . آن . . أن تُحتَضَرْ . !

ما الذى تملكُ الآن يا صاحبى

غاب صوتكَ . .

غاب سلاحكَ . .

غابت صلاتُكَ . .

غابت عهودُكَ

زلزلة الأرضِ والصمتِ..
أين؟!
وأين الخُطى فى دروب الزحام..
- أمازلت يا صاحبى تشربُ النفطَ
ثم تطاردُ فى الليل ساقطةً
ثم تغيبُ.. وتغمضُ عينيكْ..
- أمازلت يا صاحبى فى انتظار المطرْ
آه يا ضيعةَ الوطن - الحلم -
يا ضيعة الزاد..
يوم يحين السَّفرْ!!

٦ - ٣ - ١٩٩٤

صرخة عربية

ـ لأى عشقٍ ننتمى

للهِ.

للشيطان..

للإنسانْ

أم للذى يجىءُ من داخلِنا المهدّمِ

ـ لأى أرض ننتمى

للساحلِ القريبِ

للقفارِ..

للحقولْ..

أم للذى يجىءُ من جدْبِ القلوبِ المُعْتِمِ

ـ لأى لونٍ ننتمى

للصمتِ

للحوارِ

للرَّصاصْ

أم للذى يجئُ من ذُعْرِ القلوب الأبكمِ

ـ من نحنُ

هل جئنا بلا هُوية

حتى نُرى فى رقعة الشَّطْرنج

كالقطيعِ المُبهمِ

ـ لأى شىءٍ خطوُنا

لأى شىءٍ وجْهنا

للقبلةِ السَّوداء

أم للخمرةِ الصَّهباء

أم للعلة التى يحارُ العقلُ

فى تفْسيرها المحرَّمِ

ـ ها نحن . . في مواقف الرجالِ
شيعةٌ
وفُرقةٌ
اللهُ ـ حتى اللهُ ـ
حار في ضياعِنا المقسَّمِ!
للَّومِ عاشقونْ
للخوفِ مدمنونْ . .
للفخر والرثاءِ . . وارثونْ . .
إمارةٌ على حجارةِ الشقى الأشأمِ
ـ ها نحن ندعُو اللهَ
والسماءُ يا رفاقُ . .
أوصدتْ أبوابَها الألفَ بصمْتٍ مُحْكَمِ
ـ ماذا تبقَّى اليومَ . .
قبضُ الريحِ
أم قبضُ الرقابِ

أم وهمُ الذى يحلُم مازال بعصرٍ مُلْهَمِ
- متى.. متى نُفيقُ
أو.. متى نضيقُ
أو متى نتُوقُ
مثلَ عاشقٍ متيَّم
تهون عنده الحياةُ فى الجَحيم المُضْرَمِ
ومن نكون..
من نكون فى سطورِ المعجمِ!.

غُصّة

- من يافتى يشرحُ لى
قصيدةً تطْوى جناحَيْها
على دمٍ.. وخُطوةٍ منكسرة
- من يا فتى يُسمعنى الصلاةَ
من شيخوخةِ الأقصى
مسكونةً بالحزن والخناجرِ المنصهرة
- هذا أوانٌ ضلَّ فيه العشقُ
فاستظلَّ فى جدارِ مقبرة
تفرَّق الأحباب فيه.. والتقى الأعداءُ
فانمحت ذاكرةُ الثأر القديم
جف الدمعُ فى القلب

وأخرج اللهُ الشهيد من جنتهِ
لأن أصدقاءَه ألقوْا دماهُ فى البحرِ
وعادوا ضاحكينَ فى الليالى المُقمرة
ـ قد نحتفى معا
ونرفع الكئوسَ نشوةً معا
ونرسمُ ابتسامةَ الصبار فى شفاه الغيد
فوق جدران القصورِ.. والحدودِ المُنكرة
ـ قد نصطفى أنا وأنت دفترًا
نكتب فيع وحدنا من واحد لعشَرة
وبين هذه الأرقامِ أبجديةٌ طَويلةٌ
لألف وعد مثقل بالهم.. والعواصفِ المندثرة
ـ يالهوانَ الحرف..
وهو يشرَقُ الآن بغُصَّة ومجْمرة
تأكله الذئابُ فى قفار القُدس..
ثم فى آبارِها تقيُؤه
لأنه استحال حصْرماً. لا ثمرة..
التَبسَ الأمر علَىَّ يا فتى!

وأنا أشهدُ تلك الشاشة البيضاء
يا اللهُ . . ربَ المغفرة . !
أهكذا يُخمدُ ومضُ الحرف
أم أن الذى يضىء داخلى . . هوَى
وشدَّنى إلى جب السُّقوط
فجذبتُ الشمس والبحرَ معى
وكلَّ كلِّ الأصدقاء . . أعدائى
وأزهقتُ الخُطى المدَّخرة . .
ـ هل تستطيعُ بعدُ يا فتى تشْرحُ لى
أم أنت مثلى قد أُصبتَ بالعياء
قطَّعتَ من قيثارك الآن
ـ كما قطَّعتُ ـ
وترَه . .
هل تستطيع يا فتى .
هل تستطيع !!

٢١ ـ ١٠ ـ ١٩٩٣

مواجهة

(إلى الساحة الشعرية)

تسمَّمت الآبارُ واستأسدَ الوعْلُ
وهمَّت أفاعى الأرضِ وانفرطَ الشَّملُ
هو الشعرُ فتِّش عنه.. ليس له أهلُ
وليس له فى قلبِ نُسَّاكه شُغلُ
تغرَّبَ فى أرضِ الهوى وتقاسَمَت
صحائفَه الجُرذانُ.. يحكُمُها الجهلُ
فمن ناقعٍ سُمَّ اللسانِ بحدِّه
ومن مضحكٍ قلبًا.. وفى يده نصلُ
ومن مدَّعٍ بالعلم نصَّبَ نفسَهُ
أميرًا على الأحجارِ ليس له مِثلُ

يحـــرِّكُ فـى شِطْرَنجِــه أدعـــيــاءَه

لِيْــبـقى منـارًا . . والصـغــارُ له ظلُّ

. . . .

هم الشـعـرُ ـ إمـا تبتـغـيـه ـ ودونَه

حرامٌ . . وتقليـدٌ . . وجدْبٌ ولا نخلُ

همُ الفنُ ـ إن شـئتَ الجـديدَ ـ ودونه

ضلالٌ . . ووهمٌ . . وانسحاقٌ ولا فضلُ

همُ المبــتـدا والمنتـهى . . وزمــانهُم

تأخـر عن مـيـقـاتـه . . أينمـا حلُّوا

فـمـاذا لدينا لأمــرئ القـيس أو إلى

مـتى نذكـرُ الأجـدادَ . . إنهم ضلُّوا!

وغــذُّوا نهـانا . . بالتـراشُق والهـوى

«ونحن هنا الهادون . . نحن هنا الرسْلُ»

«ونحن هنا أحـفـادُ شوقـى وصفـوةٌ

نؤسِّسُ عـــرشَ الشـعـرِ ثم لـه نَجْلُو»

«ونُنشِـدُ فى البـــاراتِ والسُّكُرُسـيـدٌ

ومـذهبـنا فى الشـعـر جِــدٌ به هَزْلُ

«إذا مـا ذكـرنا اللهَ .. فـاللهُ مـيتٌ
وقـرآنه غـبْنٌ .. وجناتـهُ هَمْلُ»!
«ونصنعُ من أسْمَنتِنا الـربَّ شامـخـاً
ونهدمُه .. لا الفرضُ يُرعى ولا النفْلُ»!

. . . .

بنفسَـجةٌ تَدْمَى .. وأخـرى صبُـوحةٌ
وقـرقرةٌ تُضْـمِي.. وأخرى بهـا هَذْلُ
وثرثرةٌ مـحـمـومـةٌ .. هندسـيـةٌ
وجيمٌ .. وميمٌ .. والمعاجمُ لا تخلُو
وخازٌ .. وبازٌ .. والزَّمانُ .. مُزاحمٌ
وخزٌ خزيزٌ .. لا طرازٌ .. ولا غزْلُ!
ونضـحكُ حتى يَشْـرَقَ القلبُ غافـلاً
ويسـهـرُ من جـرائها العينُ والعـقلُ

. . . .

تسـمَّمت الآبارُ والصـمتُ مـحـدقٌ
وناورتِ الجُرذانُ .. والكـلُ يعتلُّ ..

كـأنا رضـــينا الموت بُطْئـاً .. وأننا

نُسلِّمُ بـالبلْوى.. على حـــالِنا نـتْلوُ

ويشـــمتُ فـــينا من يـعـادى تُـرابَنا

ويُهنيـــه أن يعلُو بســاحـــاتِنا الوحْلُ

فـيـاغيـرةَ الأمـجـادِ هل من منفـاحٍ

ويافْــبِلةَ الأقـلامِ هل صَــعُبُ الحلُّ

وياصـفـوةَ الأشعـارِ هل هان قـدرنُا

لنصـــمتَ حـتى ظُنَّ أنّا هنا غُـــفلُ

تســـمـــمتِ الآبارُ هـل من مُطَهِّــر

لسُمٍّ سـرى حتى تشـهىً به العـقلُ!

١٣-١٢-١٩٩١

الألف

أضعُ الهمزةَ ما شئتُ
على رأس الألفِ
فتصبحَ تاجًا من سَعَفْ..
أو ألقيها فى ذيْلِ الألف
فتصبحَ مثلَ الطفلِ الباكى..
أو أحملُ هذا الألفَ
أثبّتُه فى فك الهمزةِ حتى تصرخَ
فى ولولةِ النسوةِ
يفقدْن عزيزًا..
أو يَغْصبْهنَّ غشومْ..

ـ يا هذا الحرفُ المهمُومْ

أَخْلَعُ من أضلاعى رمحًا أجوفْ

يمتص براءتك الأولى ويحصّنُكَ أمامَ الريحِ

لعلَّ اللغةَ توافيكَ بهذا العرشِ

الغائب فى فوضى الأحرفْ

ـ يا هذا الحرفُ المتعفِّفْ

بين يديك بداياتُ الأشياء .

فلماذا أنت رَضيتَ الآن

أن تقصفَك الأقلامُ الصبيةُ فى ساحتنا . .

ولا تصرخْ فيهم . .

أو تحتجَّ قليلا . .

أو تأنفْ . .

يا هذا الحرفُ المرهفّ!؟

٢٢ ـ ٣ ـ ١٩٩٤

اللعبة

منهكة أنت على طاولةِ الليل
وسمارُك يغتالون اللُعبةَ
يقتسمُونَ اللحظة فى كأسٍ ولُفافةِ تبغ
فاذا أحدهمُ احتجَّ.. وصاحَ..
قيل: دعُوه يصرخْ
يُطلقْ طيراً أعرجَ يسقُطُ فى السَّفحْ
ما أشبهه بالشعراء المشَّائين.. الهمأَّزينَ..
اللمَّازينَ.. النمَّامين.. الأفاكينْ..
محترفى الكلمةِ..
يَطْلُونَ الألفاظَ بدُهْنِ الجسدِ

ولون الدمْ . .

فيحيطُ ذبابُ الزيفِ عليها

يقعُون بأنفسهم مرْضىَ شكَّائين

وينالون شهادةَ مقهورى الكلمة

ويفوزُون على محترفيِ اللُعبة . !

ـ هل لكِ يا سيدتى فى كأسٍ صافيةٍ مُرة . .

تضربُ فى بيداء الشعراء

وتُفيقين على زمن الهم الأكبرْ

تتعفنُ فيه الثمراتُ . .

وينبتُ فيه وجهُ غد مقهورْ

يحملُه الصبيةُ فى أطباقِ النشوةِ

فى أمسيةٍ . .

تتقازَمُ فيها القاماتُ

ويشمخُ فيها الأقزامْ

كلُ رءوس السادة تفقدُ قدرتَهَا

وتمارسُ لعبتَها . .

تتصابى طُولَ الليلِ على أرصفةِ المقهى

وتثرثرُ فى سفْسَطةِ العصر بلغةِ باريسية :

الأسْلوبيةُ . . والتفتيتية

والتشتيتية . . والتعميمية

والبيدائيةُ . . والجسدية . !

يُمسى فيها كلُ السادةِ عصرين

لارجعيين . !

ـ هل لك فى كأسٍ صافيةٍ مُرة . .

تُلقين شباكَك فى هذا الطُوفان

وتصيدين الدُرَّ الخالصَ

والمرجان . .

تكتشفين اللُّعبةَ . . زائفةً

يتخاذلُ فيها الصبيةُ فى الركنِ الأقصى

وتعودين إلى طاولة الليلِ . .

تزيحين بقايا التبغِ
قصاصاتِ الأوراقِ
فتاتَ الكَلمات . .
وتَرشّينَ . . مياهً من قِلبكَ!
ـ هل لك . . فى كأسٍ صافية
يا سيدتى . ؟

٧ ـ ٢ ـ ١٩٩٤

صلاة

إلى حفيدتى (ما هى)

لو أن الدنيا تمنحُنى عرشًا ورديا
أصعدُهُ
وأطلُّ على مملكةِ الحب . .
لو أنى أملكُ للبحرِ مفاتيحَ الموجِ
وللشمسِ قناديلَ الضوء . .
وللأرض مسافات الخصب . .
مازَلْزلت الفرحةُ قلبى
زلزالَ الوجه النُّورانىِّ الطفلْ . .
عرَّفنى - فى أول صوتِ - وجهَ الله
أوْقفنى عبدًا حرًا . . فى باب الله
جَسَّد فى قلبى نبضَ الله . !

ـ ها أنتَ الطوفانُ بقلبى
يا وجهًا أتعلّمُ منه الصمت
كما أتعلم منه أحاديثَ اللهفةِ
ما عشت . .
تتفجرُ بين يديكَ ينابيعُ الغيب
وتحلو بسمتُكَ بألوانِ الخصب . .
وتسرى أشرعةُ الحلمِ
على صفحةِ عينيك
وترسُمُ أسئلةً عن أيامٍ قادمةٍ
وهواجسَ
ورياحٍ . . وعواصفَ
أشجارٍ . . أغصان
ليلاتٍ لا تعرفُ معنى الرحمةِ
وصباحاتٍ تُقبل بالحب . !
ـ يا وجهًا يزرعُ فى القلب نخيلا
يعزفُ لى لحنًا وتقاسيم

يطفوُ فوق فراش الموجِ

ولا يغرق . .

يعلو فى سحب الحلمِ

ولا يشْرَقْ

يصل الليلَ بأشواق الصبحِ

ولا يهدأ . .

لكنى . . أحضُنُ صرختهُ نغمًا فى ليلةِ عُرْس

تتسللُ فى أضلاعى ملءَ القلبِ

وملءَ الحسْ . .

تشتعل جنونًا . . فرحًا

حتى تصل إلى نجمِ الجوْزاء

فاذا اللوحُ المحفوظُ يُسَطِّرُ عَاطفةً

لم أكتبْها من قبل . !

ـ لو أن الدنيا تمنحنى عرشًا ورديا

مازَلزلت القلبَ . .

كما زلزلَه الوجهُ النورانىُ الطفل

فليحفظه الله . .
نجمًا يشعلُ دنيانا خيراَ . .
ينُبت فى دنيانا . . ألقًا مخضرًا
يتجسّدُ ملحمةً من نورِ الله . .
تتجاوزُ ما نكتبهُ شعراَ . !

١ ـ ٦ ـ ١٩٩٤

الرحيل
إلى المدن الساهرة

ظمأ

أتجمر حين يُباغتُنى العشق
أتطحلبُ حين تناوشُنى الريحُ
لتأخذ ثأراً محفوراً فى الصخر . .
أتكلَّس فى بطن الحوتِ
فيلفُظنى ثانيةً
تتلقُفنى فى الصحراءِ غزالة
أنمو داخلها قوساً مشدوداً
تقذفنى قمراً مولوداً
أصعدُ . . أصعدُ فى ليلٍ
غابت فيه الأقمار

أشربُ من أيدى الريح
أشبعُ من أدخنة العتمة . .
لكنى أحترقُ حنيناً للعْرش الفضىّ
أتكئُ على كتفِ امرأةٍ
تمنحنى تاج العشق . .
أسكنُ قلعتها النوارنيةَ
أزرعُ أشجاراً فى القلب
وأرشقُ فى الأفقِ نجوماً
وأراقُصها فى رؤياى الصادقة
ونقضى ليلَ النشْوةِ مخمورَيْن
نغيبُ . . نغيب . .
وأفتحُ عينىْ
يفرّ النومُ على أحصنة شفقية
فتباغتُنى الأسئلةُ المنسوُجةُ
من سنوات القهرْ . .
وجوع القلب

أسَّاقطُ من عرشى
شُهباً.. شهباً
يتجسدُ وهمى صقْراً وحشياً
أصرخ" :
- يا من يلقفُنى
ويفسِّرُ حلُمى..؟
- فتعودُ الأصداءُ إلى حلقى
ظمأً لا يهدأ!

النداء

جناحيَ للعشق أخفضهُ
وأحسُّ المرارةَ لو صخرةُ عاندتنى
فيغدو جناحيَ إزميلَ نار
يفتتُ صخر العناد
ـ أيها العطشُ المستبد
لن تحرِّقَ جوفى
ولن تشعلَ القلب إلا مزيداً من الشوقِ
تقدحُ فيه الزناد . .
حسبكُ الدمع . . والصمت . . والموت
خطوىَ يا قاتلى . . لا يود السُّهاد

فهل تعرضُ الآن قهرك للعاشقينَ
على طرقات المزاد. .

كفَّ عن ذلك الوهم يا قاتلى
لن ترى كبوةَ للجواد
فجناحىَ للعشقِ أخفضهُ
كى أحلِّقَ فى أفقٍ
يحتفى بالنداء. .

يتفجرُ شمساً
وحلماً
ودفئاً. .
إنه أفقٌ موغلٌ فى البعاد!

وهج المستحيل

موجةٌ تتباعدُ
ثم تلوذُ بأخرى . . وأخرى
وترتدُّ نحوى . .
تُسدِّدُ للقلب سهماً
وللعين جمراً
وللجَسد المتأججِ بالنزواتِ
طيوراً جوارح . .
ـ ما الذى يجعل البحرَ مرتجفاً هكذا
ما الذى اهتزَّ فى عرشِهِ اليومَ
حتى تشظَّى بداخلنا . .

يتثلّجُ حيناً.. وحيناً يلوذُ بجمرِ الجحيم!
- لايزال يطهرنا الملحُ..
تأتى التماسيحُ من زبدَ البحرْ
تتدثرُ بالرملِ.. والجوعِ.. والشهقات..
المسافاتُ منحوتةٌ فى جدار الجسد
والمدى - لايزال -
لغةَ النار.. والزمنِ الحجرى
وبحّارةَ الليل
والصدفاتِ التى تشعلُ الوهج المستحيل!
قال لى صاحبى:
- إنه الموتُ فى الحب
والعيشُ فى الحب
والجوعُ.. والصمتُ.. والعطشُ المتوقد..
- أى موج يحاصرنا الآن
أى ذنب جنينا..
ولونُ التوجُّسِ فى مُقَلِ الليل

يحفر للقلبِ مجراه . .
هل للذى احتضن النار
عَوْدٌ إلى شاطئِ الثلج . .
هل لغةُ الحب يمكن أن تتهاوى حروفاً
على صخرةِ الليل
ـ إننا لن نكون
غيرَ هذا الجنون
نقطِّرُ فى القلب غيمَ الأساطير
نَعْدُو إلى وهج المستحيل!

انصهار

ها أنا لهفةٌ
وأنتِ انتظارُ
وأنا كوكبٌ. . وأنتِ مدارُ
سفرٌ نحنُ
والرحيلُ احتراقٌ
وعيونٌ مشبوبةٌ. . وغبارُ
خاصمتْنا الدروبُ ليلاً
فلما عشقَ القلبُ
هلَّ فينا النهارُ
ودنا الشعرُ من مرافئَ

كانت حرماتٍ
تشْقى بها الأسرارُ
فاستحالت حدائقَ العشقِ
تصفو.. وتغنى جمالَها الأطيارُ
أنتِ بدلتِ كلَّ نبضٍ جمالاً
بعد أن كان فى القلوبِ انكسَارُ
أنت بدَّدْتِ ظلمةَ الروحِ
فى الليل..
فجاءت شمسُ النهارِ تغارُ
أنتِ..
من أنت..
هل خُلقْتِ كما الناسُ
أم الحبُ أنتِ والأقمارُ
أم هو الله شاء أن يتراءى لى سنَاه
وتَذهَلُ الأقدارُ
فتعالىُ بالحب..

نصفو.. ونفْنى.
ونغنى...
ويحتوينا انصهارُ
إننى لهفةٌ
وأنتِ انتظارُ
وأنا كوكبٌ.. وأنت مدارُ!

قرار

مثُلك . .
أرفُضُ أن أحيا حباً
يثقلْنى بالهم . .
لا أجْنيِ منه إلا زَمَّ الفَمْ
مثْلَك
أرفضُ ما يبرقُ من كلماتِ جوفاء
وما يَمْضُغُ بين ثناياه السُّقْمْ . .
مثلَك . .
أرضى أن أتحرَّرَ من قيدى
أنزع جلدى . .

أحرقه . . أطوى المى . .
أضحكَ ملءَ القلبِ . . وملء الجسْمْ
مثلك . .
أرضى أن أتعانَقَ فى وهجِ الشَّمسِ
وفى صفْوِ الليل
ولا أتناثرُ مزقاً . . مزَقاً
فى ظلمات الوهم . . .
. . . .
فانطلقى فى دنيايَ يمامة
تجدينَ العُشَّ الدافىءَ فى فلكِ النَجْمْ
والأفراخَ الأولى . . .
تنتظرُ الأحضانَ . . .
وتشتاقُ إلى الضّمْ
أنا لا أعشقُ أى امرأةٍ تحلُو فى عينىَّ
لا تأسرنى امرأةٌ
تنقُشُ فوق الصدر بقايا وشمْ

لكنى أهوى امرأتى . . جمرا .
أهواها سكَناً وجنوناً . .
أهواها تحملُ فى الأحشاءِ نداءً علْويا
فى القلب عطاءً لا يتوقف
فى كفيها خدراً يُغرينى باللثْمْ

ـ انطلقى فى دنياى
فَلكا يأبى أن تأسره دائرةُ الأفلاك
انطلقى . .
تجدين السرَّ الكامنَ زمناً فى قلبى
ينتظر قدومَكِ عاصفةً
من خلف الغيم ! . .

جنون

سكرةٌ أنتِ
لا أفيقُ
ولاَ أغفُو
ولكنْ . .
وددتُ لو تحتويني . .
صرخَ الصمتُ
فاستعدنا بقايا النبضِ
حتى أضاءنا بالجنونِ . .
من تكونين . .
في النهارات شمسٌ

ومع الليلِ قبلْتيِ وحنيني
من تكونين..
في التوحدِّ هذا الخفقُ جمرٌ
وفي الوداع رنيني..
كيف لي أن أُفيقَ
والدفء لونٌ في عروقي
والعشقُ وجه سنيني
لفتةٌ منك تُغرق القلبَ
في البوحِ
وتُهدى إليه كلَّ حنيني
لمسةٌ منك
تبعثُ الشعرَ وحياً
لأغنيَّ
بسكرتي ويقيني..
أكذا العشقُ يفتحُ البابَ
لا يدخلهُ

من يظل نهب الشجون
أحلمُ الآن . .
أطرح الهمَّ . . أشدو
خطوةً وسْط عالمٍ مفتونِ
صنعته أحلامُنا
زرعتْ فيه نخيلاً
تحيطُه بالحصون . .
كيف نحيا وتستحيلُ خطانا .
لهفةً
من توحدٍ وجنون!!

حدُّ السكّين

أُقاسمُكَ الموت
مادمتَ تُشْعِلُ مثلىَ جمْرَ المواقدُ
أباعد بينى وبينكَ
حين أراك على أربع
هابطاً لفُتَات الموائد . .
ـ أيها المتأرجحُ ثوباً . . وقلباً
تُخَبِّىُ نفسكَ فى العشبِ حيناً
وتدخل كهفَ المكائدْ . .
ـ ها أنا ـ حين أصفو ـ أمدُّ إليك يدىً
أبايع فيك خطاك القديمة

يا صاحبى
وأبايعُ سرَّ هوانا المُعَانِدْ..
فمتى تستردُّ عناقيدَ طفلٍ قديمٍ
أقام بها عُرسَه فى الصخُور
لينقُشَ خارطةً للشَّدائدْ
متى تحرقُ الجلدَ فى وهجِ الرمل
تنعشُ ذاكرةَ الموت
تُشعلُ مثلىَ جَمْرَ المواقدْ!

أسئلة للرحيل

(إلى الشاعر الراحل:

عبدالله السيد شرف)

مثقلٌ بالقلبِ حتى أثقلَك

أيها المُدْلجُ نوراً فى الحلَك

فاضَ منكَ الصبرُ نهراً لا يجف

فاضَ حتى مُلِئَ البحرُ

تزَيَّا منك بالحكمةِ . .

وشَّى محفَلكَ . .

ـ ها . . رحلتَ الآن والعمرُ رحيلٌ فيكَ

لم يسبق خطاكَ العمرُ

يا . . ما أعجَلك . . !

ـ دمعةُ الشعرِ استحالت جمرةً فى قبضَتَيْك

ثمرُ الوُدِّ على دوحتكَ الخضراء

يدنُو للصحّاب . .
من تُرى يسقى شفاهاً ظِمئت للعشقِ
من يا صاحبى يلقفُ أوجاعَ النّدامى
ويُدانى منهلك؟!
ـ ملكٌ أنتَ على مملكتينْ
شاطئ للسقْم لم يرْسُ عليه زورقُك
ومدىً يصفُو لرزقاءَ . .
به أجهدَك المقدورُ
حتى سربَلَك
قبضةٌ لا ترتخي
والصولجانُ ـ النار ـ
والأرضُ . . وصوتُ الوطنِ المشنوقِ
والبسمةُ . والحلمُ المدوِّى
والسّهارى . . والفلَك
رفقةٌ شئتَ لها عمراً . .
فلا الأوجاعُ تُشقِيها

ولا عتْبُ التجافى.. حولَّك
عروةُ وثقى...
وخطوُ راحلٌ بالعشقِ
وردٌ طازَجٌ
شمسُ،، تراتيلُ.. وموجُ عاصفٌ بالمدَّ
أعلنتَ عليه الزحفَ
سددت إليه منْجلكْ
ـ ها.. رحلتَ الآن
فلْتفلتْ صقورُ الليل
ولتغزِل عروسُ النيلِ ثوبَ العُرسِ
تبكى مغزَلَك
ـ ها.. رحلتَ الآن
فى القلب الإجاباتُ التى واعدتَنى
هل يا ترى ترجعُ لى..
كى أسألَك!؟

١٣ـ ٤ ـ ١٩٩٥

مملكةُ الرعد والحصار

مطرُ الليل يسقطُ
فى داخلى الآن
والرعدُ . . مملكةٌ من حصار
وفى لحظةٍ . . ببرُقُ الحزن
فى لحظةٍ . . يتفجر فى القلبِ صمتُ الروافد
. . . . . .
ـ كان صديقى يعاتبنُى
كان ـ كلَّ مساء ـ يسائلنى الشعرَ . . والبوحَ
كنتُ أطأطئُ رأسَ حروفىَ فوقَ الدفاترِ
كنتُ أُقطِّرُ ذاكرتى المستحيلةَ

أستحضرُ المُدنَ المستكّنةَ فى حضنِ طاغيةٍ
فأراها بلْون الحداد
بكتْ حلمَها المتورد . .
ـ كان صديقى يسائلنى
وعيونىَ ترْصُدُ تلك الطلولَ
وتدْركُ كيف الصقورُ استباحتْ عيونَ الصغار
وأثداءَ كلِ النساء . .
ولا نملكُ البوحَ والشِّعرَ يا صاحبى . .
ـ مدن الرملِ كانت تجودُ سخاءَ
كيف عاد صعاليكُها يسكنون الصوامعَ
يَسْطُون . . يقتتلوْن
يسوُقُون سَقْطَ النساءِ إلى وثَنِ الليل
والمطرَ الدمويَّ إلى خطوة الجمرْ
يبعث عصراً من الجهلِ
عصراً من الذلِ
عصراً من الخوف . . !

ـ من يملك اليوم أن يتطهَّرَ من عاره
يُسقطُ الآن عوسجةَ الموت
يشمخُ . . يوقفُ سيْلَ العرَم؟
ـ أيهذا الصديق . .
كفاك عطوراً . . وخمرا
كفاك البكَمْ . . .
مطر الليل مازال يسقط
والرعد مملكة من حصار . .
وأنت . .
أنت الذى غابَ عن حلُمِه
واكتفى بالألم . . !

الدائرة

أعلنتُ العصيانَ على صمتى

وخرقتُ الأرضِ

وبلغتُ جبالاً - لم يبلغْها غيرى -

وقطعتُ مسافاتٍ بسيُوفِ الخطوِ المسنُون

أسقطتُ غيوماً . . . ونجوما . .

وقبضتُ شراعَ الريح . .

حتى بلغَ الخطوُ جداراً - لا ينقضْ -

يصعقُنى حيناً بالصمتِ

وحيناً بكراتِ النار . .

ألقانى فى وهج الشمسِ صريعاً

لا يعصمنُى جبلُ. . أو حتى ظلُ شجُيرة
ـ فتحتُ عيونى . .
فإذا الدمع صقورٌ حامت فوقى
تسخرُ منى . .
تعصرُ لى طوْطَمىَ المحفُوظْ
تنزعُ عنى أرديةَ الطاعة والعصيان . . .
وتُمهَّدُ لى طرقاً من أشواكٍ وخناجر
فإذا لوحاتُ الليل شظايا فى كل الخطوات
وإذا قدرى يهربُ منى
وإذا خطوى الباقى
يتجردُ من أشواقه
يلقىَ أحلامى فى دائرة الصمت!

حديث جانبي

لا أريدُ من البْحر فُلْكاً
فكلُ الشواطئِ تنكر وجهي
وحراسهاُ يتباهوْن . . ضحكاً
إنهم يدركون بأني أخافُ ركوبَ البحار
أقطِّرُ ملحَ السنينَ القديمةِ فوق الشواطئ
حتى أضعْتُ الرواسيِ . .
وسلمتُ عكًّا . .
وقايضتُ أرضاً بأرضٍ
وحصناً بحصنٍ
ومئذنةً بجدارٍ
وشمساً بشمسٍ

وأزريتُ مُلكاَ
وواريتُ في الرملِ ألفَ شهيدٍ
ولم أشكُ ضنْكا . .
ورحتُ أغنِّى لسربِ الحمامِ
يرفرفُ عند الموانى . .
ألوِّحُ خلفَ الحدودِ بحلمِ السَّلامةِ
وقَّعتُ . . قيداً وصكاً . .
ـ هنا رايةٌ فوق سورٍ قديمٍ
جرى تحتها النهرُ
لكنه صبَّ فى القلب ناراً
تُرى . .
ما الذى جعلَ النهرَ يحملُ رنْقاً . . وإفكاَ
ـ هنا قبةٌ تتشكَّلُ فى القلب
يحملها فى الفضاءِ براُقُ
ولكنها الآن تهوىِ . . وترتدُّ شرْكاً
ـ هنا آيةُ من كتاب كريمٍ

تُؤوِّلُ عند المرابين . . .
تُطفئُ فينا سراجَ التراحمُ
تأتى على خُضرةِ الأرضِ . . دكاً
ـ هنا خرقةٌ لنبيٍ قديم
تبوحُ بلوْنِ العَشاءِ الأخير
تفوحُ اختناقاً . . وَسفْكاَ
ـ هنا . . وهنا . .
ما الذى بعد يوقفُ هذا النزيفَ الممدَّدَ
فى باطنِ الأرض
يَبعثُ فى ثوبها الغَضِّ . . عكا
أتُرى حجةُ القوْل يا صاحبى وحدها
والمرابون لا يفقهُونَ الأحاديث صادقةُ
أم تراها القواطع نرفَعُها فى الفضاء
ترتلُ سفْر السنَّابل، . . حُكماً . . وفَتْكاَ
ـ ما الذى بعدُ يُضرِمُ نارَ العيون
ويطفئ فى القلب . . شكّاً
ما الذى بعد يطفئ فى القلب . . شكاًّ!؟

الرحيل إلى المدن السَّاهرة

صوتٌ زلزلنى
يتسلَّل من حُلْقومى
يتشظَّى جمراً فوق يَدَىْ
فتَّحتُ عيونى اشتعل الصوتُ
جواداً عربيا
أطلقتُ جوَادى للريح
احتدمَ الغيمُ . . مددتُ يدى أقبضهُ وشْما
أنقشهُ فوق جبينى . .
أحفره فوق ذراعىّ
تنشق الأرض بعينىْ

يصهلُ فى الليل جوادى . . يركضُ . . يركضُ
حتى انتصفَ الدربُ إلى وادى الشام
ـ ساءلتُ البيداءَ الممتدةَ عن قافلةٍ
كانت ترحلُ صيفاً
ضحكتْ بيدائى . . ضحكَ البحرُ الميتُ والمتوسِّطُ
والقيظُ . . وسَعْفُ النخل . .
ـ تذكرتُ . . .
الليلةَ هبّتْ صاحبتى من حُضُنى
طلبت جرَعة ماء . .
قَصَّتُ حلُماً أسهدنى حتى الصبح!
الآن تأوَّل حُلْمى . . !
هُزِّينى أيتها الرؤيا المدخرةُ فى ذاكرتى
سُلّى من قلبى هذا الشوك
انطلقى بين يدىْ
سيفاً عربياً . . أو صخراً
أو وجْهَ يهودى

هزّى بين يدىْ:
«فعلاً» . . يبحثُ عن «فاعله»
نسجاً عربياً يروى عن غَازله
جمراً مضفوراً فى سُنبله!
فأنا وجوادى صرْنا المدَّ . . الغيمَ
الوشمَ على جسدِ الذكرى . .
سُلِّى منى اللغَةَ الصَّعْبة.
أنا لا أبغى الجولةَ خاسرةً . . أو خائنةً
أو غافيةً عن وعْيى . .
هزِّينى . . أصنعْ منكِ القلبَ الصخرى
أدركْ فيه لغتى . .
وصهيلَ جوادى المتْعَبْ!.

لا فرق

ـ في لحظتنا هذي يا أصحاب

بعضٌ منا يشدو شعرا

بعضٌ منا يرسُمُ أحلاماً خُضْرا

بعضٌ منا . .

يشربُ كأساً تُشعلُه سُكرا

نتحاورُ حوْلَ قصائدنا

ـ إن كانت شعرا . .

أو كانت نثرا . .

ـ في لحظتنا

يحملُ كلُ منا لصديقته نذْرا

يلقفُ أنجُمَه فى قَبضتهِ
يعصرُها . . قَطْرا
ـ فى لحظتنا
نشجبُ . . أو نحتجُّ صراخاً
أو نشْقَى بالحكمة . .
أو نغفو قَسرا . .
وعلى بُعد خطوطِ خريطتنا
تُسْفحُ أكبادٌ . . تهوى أعناقٌ
تتلوى أطفالٌ . .
يتلهىً السفَّاحون
يصلُّون على جُثثِ القتلى ـ كُفرا ـ
ـ فى لحظتنا . .
يُذبحُ خَطْوُ الإنسانِ على سيْفُ الحكمةِ
نتوهمُ عالمنا طُهْرا . .
. . . .
ما أشبهنا ـ بين شرايين خرائطنا ـ

ومسافاتُ الموت نمهِّدُها

سكيناً كانت . .

أو طلقاتِ رصاصٍ . .

أو شعرا . .

ما أشبهنا!!

الفتنة

جاءنى وعدُ عَدُوِّى.. أن أسالِمْ
زوِّقَ الأوراقَ.. والأشواقَ
- حرَّى - والمزاعمْ
يا أبا موسى احترسْ...
أنتَ أسلمتَ سلاحى.. وابنَ هاشمِ
للذى أغراك بالوعدِ
وباع الدمَ فى سوقِ الغنائمْ
وأتى يهُدى التمائمْ..
- لا يفيدُ اليومَ أن تُرفعَ بالسَّيف العمائمْ
يا أبا موسى اتئدْ

إنها الفتنةُ عادت . .
تسفحُ الأطفالَ . . والنسوةَ
والدمعَ المسَالمْ
إنها تُعلنُ فى الأرض المواسمْ
للذى أقبلَ كى يطفئ عيناً
أو يحيلَ الوعدَ هماً ومآتمْ
ـ أنها تُعلنْ: من يسرقْ
فلا خوفَ على قطعِ المعاصمْ!

قال: اضربْ بعصاكَ الليل

يتفجَّر برقاً . . ونجوما . .

وقلوباً للعشاق . .

قال:

طفلاً أمسيتَ فلا تبحث عن أم

ما أجمل أن تُغمضَ عينيكَ

وتقفزَ من فوق سماواتِ الصمتْ

فتحطِّمَ صخْرَ الموت . .

قال:

لا تسألني عن شئ

لكن أعدُكَ أن أنبئكَ بِسرِ الأشياء!

. . . . .

كان فمى مفتوحاً . .
يلتقطُ حُبيباتِ المطرِ
ونجْماتِ الدهشة
وشظايا الألوان . .
أسأل يا مولانا عن نهرٍ آخرَ فى داخلنا
ينبعُ من قلبِ العَتْمة
يجرف طمى اللعنة . .
يلقيه فى البحر . .
فهل تمنحنى ورداً أتلوهُ وحدى
وأفجر وحدى
هذا السِّرَ المكنون!

القهر فى زماننا

سيانِ المخطئُ
والمعصومُ من الأخطاء
سيانِ النائمُ فى كنفِ النعمةِ
واليقظانُ على جمرْ الأدواءَ
سيانِ الصامتُ قهراً والصارخ باسم السادةِ والأهواء
ـ ماذا عن وجهِ يقتسم الساحةَ
يرفع راياتِ العصيان
يشتعل جنوناً . . ورحيلا
يقبض بين يديه مسافات العالم
لا يخسرُ فى قبضته أى رِهاَن . .

ـ ماذا عن شيطان . .
يمتلك القدرة أن يخذلَنى
حين يعزُّ الخذلان . .
ـ أبحث عن مَلَك يخلصُ فى بيعته
يقتادُ خطايَ إلى ملكوتِ النُّدمان . .
. . . . . .
ـ من يرحمُنى . . منى . .
من ينزعُنى . . منى؟
تختصمُ شراييني الآن
تسرى فيها أنهارُ المقهورين
تتفجرُ صرخاتى الآن
لا أعرف من يصرخ فى جوفى:
ـ عربيدٌ خانتْه امرأةٌ فى علبِ السّكر
أم طفلٌ كفَّن أبويْه فى عينيْه
ولم يحفرْ لهما القبر!
. . . . .

ـ من يقهرْ فى داخلى القهر . . ؟!
من يشْوى جلدى
كى ينمو درعاً لا يكسرها القيدُ
ولا يهزمها الأسْر . .
ساعتَها . .
أدركُ سرَّ المخطئ والمعصوم من الأخطاء
أعرفْ من نام على النِّعمة
واليقظان على الأدواء!

الخسارة

ـ فأجاتنى . .

وبين يدى كومةٌ من حروف

وفى العينِ نبعٌ من الجمرْ . .

فوق الشِّفاهِ وجيف . .

ـ فاجأتنى . .

تجمَّدَت الكلماتُ

وشاهتْ ملامحُ وجه القصيدةِ

حاولت أوقفُ مدَّ الكآبةِ

فى شاطئ القلبِ . .

لم أستطعْ . . !

ـ كانت يداها تشقان وجهىَ نصفين
وأنا أتوسلْ بالموج مشتعلاً
والمسافات . .
لكنَّ ثلجَ اللقاء تحدَّرَ
أغمضتُ عينىّ
أبحثُ فى كومة الكلمات . . عن الشَّعر
(ها هى الآن تُمعنُ فى القهر!)
لكنَّ نار القصيدةِ تصرخُ ملء الشرايين
(ترسل لون العيونِ المبلَّلَ بالسُّكْر)
لكن موجَ القصيدةِ مازال يعبث بالصدرِ
(تسأل . !!)
لكننى كنت أصغى لأسئلةِ الليل
(تصرخ!!)
حتى تسرب من فتحات الحوائط
سوط من الموت . .
ـ ظلت تثرثر حول زحامِ الشَّوارعِ

حول غبارِ الشوارع
لكنَّ قلبيَ منتزَعٌ فى الجنون
وكومةٌ شعرى سَرَاب . .
ـ تمنيت لو أملك الآن سيفاً .
ولو أهرُبُ الآن للموت . !
. . . .
ـ رأتنى أحلّق فى سحب الصمت . .
جسَّت جبينيِ . . شفاهيَ
أسئلتى القاتمة . .
حين حدقتُ فى وجهها
لم أحسَّ الخسارة . .
لكننى حين أمسكتُ بالكومة ـ الصمت ـ
أدركتُ إنى خسرتُ القصيدة!!

البديل

أنام فى جفْن أمانِ الليل

تنامُ جانبى حبيبتى

لأن صيحة الشرطىِّ بعد خطوتين

تُبعدُ عنا الريحَ

واللصوصَ

والجرُذان . .

. . . .

الآن أصحوُ الليلَ . .

أحتسىَ الأَرقْ

حتى حبيبتى . . .

قد هجرت مكانَها بجانبى
فسيِّدى الشرطىُّ مثلَنا
فى حاجةٌ لمن يصيح بعد خطوتين
يبعد عنه الريحَ . . واللصوصَ
والجرُذان!!

ڤيتو!

(هناك من يَهنأ بقهرِنا وهوانِنا ونحن لا نحركُ ساكنا)

ـ لك القهرُ يا سيدى
وأنت تَزُفُّ جنازةَ عُرْسىِ
وتُفلحُ أن تعصرَ الآن من رئةِ الليلِ
كأسىِ . .
ـ لك العمرُ يا سيدى
لك العمر ما كانَ منه . . وما لم يكُنْ
لتُطلقَ فيه خرافَكَ
تطلقَ فيه ذئابَكَ
تعَبثَ . . تشْرَبَ . . تقتاتَ غَرْسىِ
ـ لك الحلُم . .
نحن فقدْنا قصائدَ قيْسْ

وريحَ الصَّبا وهى تُقبلُ من حيٍّ عبْس
وبين يديْك القصائد
بين يديك الهوى. . . والقلائدُ
بين يديكَ صُراخٌ
يزلزلُ جدرانَ بيتى. .
ويومى وأمسىِ. .
ـ لك البحرُ. .
آهٍ من البحر يا سيدى
كان إلى قرْب مولدِ طفلىِ
يقهقهُ بين صدُور الصَّبايا
يزغردُ فى سفَرَ العاشقين
ولكنه اليومَ شاخَ. .
بقدْر توابيت أجدادنا الراحلين. .
يطالبُنا بالعباءة من سَنُدسِ الزهْر. .
ها نحن نبحثُ عن مَغْزلٍ. . وكبِاشٍ
وأنت

ـ بشُبيكَ لَبَّيْكَ ـ
تهبطُ بين يديكَ العباءاتُ
يخطئُ قبلتَنا البحرُ . .
آهٍ من البحرِ يا سيدى . .
. . . .
ـ لك الأرضُ . .
والأرضُ ظلَّتْ زماناً
عروساً تئنُّ . . وتحملُ كذْبا
ولا أحدٌ فى الفيافى يُجيبُ
ولو جرُأَ الطفلُ ـ فى الغيبِ ـ يوماً وصاح
تيَتَّم قبلَ الخروجِ . .
ولكنكَ اليوم تَسلُبُها من عيونِ الصغَّارِ
وتسخرُ . .
تلقى كلاماً بليغاً عن الحقِ والوعدِ . .
تسخرُ . .
نجمةُ داود تعلو حقولَ الجماجمِ والقمحِ

تسخرُ . .

لا أحد فى الفيافى يُجيب . . .

فلا تخشَ يا سيدى

فلا تخشَ وحشَ الفيافى

لقد كان أسطورةً . . واختفى

. . . .

ـ لك الحكُمْ . .

كلُ القضايا مؤجلةٌ

والزنازينُ مكتظَّةٌ

والقضاةُ ـ هنا ـ يرتشون . .

غير أن قضيَّتك اليومَ

ليستْ ككلِ القضايا

إذ الحكمُ يا سيدى ليس فى حاجةٍ

أن يكون له من ينُاقضهُ

أو يعيدُ قراءَتَه من جديد . . !

. . . .

ـ لك الوطْء..
يا ما اصطفى الشعرُ طائفةً
من فحَوُلِ الرجالْ..
وسوّدَ أوراقَنا بذوات الحجَالْ
ليأتى زمانُكَ..
يمنحُ صَنْفَ الرجالِ الخنوثَةَ والضَّعفَ
يالزمانَ العجائب..
لا نعرفُ اليومَ من يرفُضُ الوَطْءَ
فى زمنٍ .. ليس فيه مُحَالْ..!
ـ لك الطَلقةُ الباقية
قد ركبْنا جَوَاداً سفيها
حسبناه يسبقُ كلَّ الجياد
انتشينا سرَيعاً
فدُسْنا زنَادَ البنَادق
كى نُشْعلَ الأفْقَ نوراً
وتَنْبُت فوق وسائد أطفالنا
قصَصٌ ... وزَنابِقْ..

ضاعتْ بنادقنا فى السباق
وما عاد غيركَ يا سيدى
تملكُ اليوم طلْقتَكَ الباقية . . !
. . . .
ـ لك العامُ
والشهرُ . .
واليومُ . .
أعيادُنا والمواسمْ
طالعُ أبراجنا والتمائمْ
كلُّ الطواطمْ . .
أوهمتنا طويلاً بقُربِ الشِّفَاء
وفى القلب زرقاءُ
فى العين زرقاءُ
زرقاءُ فوق الروابى
تسُوقُ قطيعَ التواريخِ
يأكلُ عُشْبَ القلُوبِ
ويستلُّ ضوْءَ العيونِ

وكنتَ الأصمَّ
وكنا نسائلُ عنْك
وكنتَ البعيدَ البعيدَ
وأسْلاكُ هاتفنا فجأةً تتوقفُ يا سيدى . .
لنذوقَ مزيداً من الوهمِ
كنتَ الأصمَّ . .
ولكنك الآن وحدَك تأتى بما كنتَ
تدخرُ الأمس . .
والسُّوقُ فى عصرنا . .
السُّوقُ يا سيدى
السُّوقُ تشتاقُ للسلعةِ البائرة!
ـ لك الشعرُ . .
ها نحن نكتبُ . . نكتبُ
سيانِ ، ، ذكرُك بالمجدِ أو بالسِّبَاب
سيانَ . . أوراقُ حبِ
أو الحرْفُ ظفرٌ . . ونَابْ . .

لك الشَّعر
زَيَّن من نصفِ قرن خريطةَ ساستَكَ ـ الحلْم ـ
قيل لنا: الشعرُ أكذُبه العذْب
سقُناه يا سيدى ألف نهرٍ وبَحْر. .
ولكنَّ رأسَكَ أسنْدتَ
فوق القوافي القديمةِ. .
حتى استرحتَ . . امتلكتَ. .
ولم تشْكُ داءا الهموم
كما يفعلُ الشعراء!
ـ لك الشُّكرُ. .
حيناَ تحاصرُ أرضاً. . وتوقظُنا
أو تُذَبِّحُ أطفالنا فى العراءِ
وتوقظنا. .
أو تُحطِّمُ سداً ليغْرقِ بحرُكَ
كلَّ حضارتِنا الأوسطيةِ
توقظُنا. . .

أو تمدُّ يديْك لشيخٍ يراهنُ بالنِّفطِ
يمنحُكَ الجبةَ العربيةَ
واللغةَ العربيةَ
والذوقَ . .
والسمعَ
والشمَّ
ثم تعودُ . . لتوقظَنا . .
لك الشكرُ يا سيدى
ولنا نحن . .
قبضةُ طينٍ من القُدْس
نصنعُ تمثال إسرائنا
ثم ننفخُ فيهِ . .
لعلَّ نرىَ السامريِ الجديدْ
لك الشكرُ يا سيدى
والمساءُ السَّعيدْ!!!

١٩٩٥/٥/٢٢

هل يُفيق الرُّعاة؟

(إلى أسَرى الوطنِ المقتولين بأيدى أعداء الإنسان)

أترى . .
شحَذَ الصقّرُ مخلبَهُ
ينْبشُ الأرضَ عن صيحةٍ مبُهْمة
أم ترى . . استعرتْ أرضنًا فجأة
فترامت على الرملِ تلك الرُّقى الُملهمَة . .
أَوَ يحلُمُ ـ مازال ـ قلبُكَ يا صاحبى
أن يجئَ زمانٌ
ترى البحر بحراً
وتحملُ مرْساةَ رحلْتكَ العربيةِ
تُعلنُ ثأرُ القبائلِ . .

صرختَه.. موسَمه..
ـ أو تذكرُ مثلى يا صاحبى
ذلك الخندقَ الحَجرىَّ
وتلك العيونَ التى تحصدُ الموت
حتى وقعتَ بأسرك حيا..
وداسوُا على عنقى..
حين ظنُّوا بأنى بقايا دمٍ معتمة..
ـ ها هو الوقت يا صاحبى..
كَسرَ القيدَ عن ساعديه
ليُفيق الرعاةُ على اللوحة الفاجعة
شبِعتُ من دمانا الذئابْ
والرفاتُ بجوفِ الرمالِ
وملحٌ تكلَّس فى باطنِ القبرْ
زهرة حبٍ قديمٍ تجفُ
وبعضُ رسائلَ قد حَمَلَتْها القَطَا
فى صباح البنادقِ..

عينٌ على دمعة مُضرَمة!!

ـ ها هو الوقتُ يا صاحبى . .

ليُفيق الرعاةُ على اللوحةِ الفاجعة

ليس فيها السلاَّمُ

وليس العصافيرُ

ليس النشيدُ الموحَّدُ

ليس النخيلُ

وليس الكرومَ

وفى العين . . . والقلب . .

أسرٌ . . وقبر . . وعهدُ عدوٍ

وملحمةٌ مؤلمة . .

ـ آه لو كنت أملكُ ـ مثل الرعاةِ ـ

لوقَّعت صكاً بذبح الذئاب

وعلَّقتُ فوق المنارات منديلَ أمكَ

مازال يعصرِ فوق الرمال دَمَه . .

ـ ها هو الوقت يا صاحبى

أعلنَ الآن صرختك المبهمة

تكْتسيِ الآن بالأسرِ

والجُمْجمة . .

لا يفيدُ التلعثُمُ فى القول

لا يفيد ابتسام الشِّفاهِ الملطَّخُ بالزيفْ

فى المدى . . صرخاتكَ

فوق الرُبى نجمةُ الموتِ

فى البحرِ موجٌ غريبٌ

وفى الخطو ثأرٌ قديمٌ

وفى الرملِ رقدتُك المرْغمة!

ـ ما الذى بعدُ يبقى

ليفُيقَ الرعاةُ على اللوحةِ الفاجعة

ما الذى بعد يبقى . .

لنرى مشْهْدَ الخاتمة!!

١٩٩٥/٩/١٧

قاتل رابين

ـ لو كان القاتلُ عربياً

لانطفأ الحلمُ الموهومُ بموجِ البحرْ

وتلونتِ الأوراقُ البيضاءُ

بلونِ الجمرْ

ـ لو كان القاتلُ عربياً

لاحتكمت نسوةُ يوسفُ للشيطان

وارتفعت ألوية العُهْر على ساريةِ العصرْ

لتحدَّث فى المهدِ وليدى . .

يصرخُ ثانيةً

أن تبلعَهُ بطن الأم

ولا يشقىَ فى زمنِ القهر . .

ـ لو كان القاتلُ عربياً

لانقضَّت فوق جِماجمنا . .

كلُ صقورِ العالم

تنقرُها . .

تغرسُ فيها أشجارَ الصبار

وتعْصرِها فى قارورة جوع

تُهديها للسّادة فى ليلة سكْر . .

ـ لوكان القاتل عربياً

لانكسرتْ فى داخلنا أعينُنا

تتخاذلُ

تنزفُ ملحاً

وبقايا جمر . .

لتفجرت الأرضُ شظايا

والرملُ . . رفاتاً وبقايا
والنفطَ ـ على مائدة الأطماعِ ـ
مُساومةً وبلايا . .
والأعناقُ الشامخةُ . . مطايا
والنسوةُ عند نواصيِ الوطنِ
بغايا . .
والأطفالُ عبيداً وسبَايا
والحلمُ العربى خطايا تنخرُ
فى الصدّرْ
ـ لو كان القاتلُ عربياً
لابتسمت نجمةُ داود
على قمصانِ الصِّبية فوق الخَصْرْ
لارتسمت فى حضْن هلال مآذنناً
وتعلَّق فى أذيالِ مفاتنها البدرْ
لأتحدتْ بشعارِ النَّسرْ العربى ودانتْ كلُّ جسور النهر . .

لتحقق وعْدُ الوطنِ التائهِ
من أقصى الشرقِ . .
إلى أقصى البحرْ
. . . .
ساعتَها . .
لو تسألنى عن وطنى
تحفرُ أظفارى فى موضعِ قدمىِ
قبريْن . .
قبراً للحلُم الضائعِ
والآخر للشعر!

مقامرة

هل تجرِّبُ يا صاحبى أن تكونَ فتىً
فى أوانٍ يقامرُ بالسيفِ
ينسى صهيلَ الجيادِ القديم . .
هل تجربُ أن تُخْصبَ القلْبَ
- لو مرةً -
بحنينِ الطفولةِ
فى زمن شاخت الأرضُ فيه
وراحت تئنُّ
ويختلُ فى شفَتَيْها الصُّراخ . .
إنك الآن منفلتٌ من إسارِ الطواحين

تكوى التجاعيدَ بين خلاياك
علَّ الشرايينَ تُفتح ثانيةً
تتسلَّل منها طيور الخصوُبة
همزة وصلٍ تُقرِّبُ وجهَكَ
من ثمراتِ النَّضارة . .

. . . .

ها أنا لا ألومُ الطواويسَ
تختصمُ الكونَ زهْوا
لا ألوم البحارَ التى ترسلُ الموجَ
يُغرقُ أفراحنا حين يلتهمُ الشطَّ
يودى بُحلم الصغار . .
لا ألومُ الشوارعَ منهكةً بالخُطى المستبدة
بالصرخات . .
وبالوجعِ المتربصِ فى كل زاويةٍ
يُنبتُ الآن شوكاً على الأذرع الباليةَ

. . . . .

كيف لى أن أجربَّ تلك الخُطى
ودِنانُ من القهْر نجرعُها
وطقوسُ من الموت نُشْعلُها
واللغاتُ التى حاضنتنا طويلاً
نبددها
والذى ظلَّ فى يدنا ـ العمر ـ
ينفرطُ الآن . .
حباتَ رملٍ
وبعضَ رفاتٍ
وشيئاً من العشب محترقاَ
كيف لى أن أجرِّبْ
والذى كان يسلُبنى الأمسِ
ثوبى . . وحلُمى . . وخبُزى
أمد إليه يدى اليوم
أنْسَى الذى كان . ! !
. . . .

ـ ها أنذا مات فى القلبِ فارسهُ
واستراح على باب هذا الرُّواق الجديد
أترى لو أصيحُ . .
سيرتدُّ للحلْقِ صوتى
أم ان الَمنَافى ستؤُويه
فى ليلِه المستحيل!

١٩٩٦/٣/١٨

بهلول

سوداءٌ نارُكَ فى القلبْ
شوهاءٌ أحلامك
صارت مثلَ رمادِ الجمرْ . .
فمتى تنزعُها . . وتكوّرُها
تقذفُها من شُباكِكَ فى ماء النْهر
ومتى ينضجُ خبزُ القلب
ولا يحترقُ على آثامِ الكِذْبْ . .
. . . . .
ها أنت تُلَوِّحُ فى ملكوتكَ بالجنةِ والنار
ها أنت تلوح بالقَيد الصارخِ -

واليومِ الموعودْ
وتناصرك بَغَاثُ الطيْر
غمسَتْ ريشَ جناحيها
فى زيتِ النَّهبْ. .
فاشتعلت أشجارٌ
واحترقتْ فى القلب فراشاتٌ
وتهاوتْ أوراقُ الحكمةِ
فى مقْصلةِ الذنبْ
لكنى. . لا أملك مثلَك
تبديلَ الألوان
لا أملكُ تقليمَ العيدان
وزهْوَ القلبِ المرتعشِ بأوجاعِ الصَّلْبْ
لا أملكُ مثْلَكَ
أن أصبحَ بُهلولاً
أو أمْسيِ قَزْماً فى ساحاتِ الكلمةِ
أتْقنُ ألعابيِ فى ميمنة الركبْ

لا أملكُ أن ألقيِ يوسفَ
فى جبٍّ الحقدِ الأسودِ
وألومَ الذئبْ . . !
أنا . . أملك لونَ الوجهِ الواحد
لونَ القلبِ الواحدِ
والماءَ العذبْ . .
لا أملك مثلكَ ناراً سوداءْ
تصهلُ فى قلبِ القلبْ!

سقوط

قالوا فى حضرتهِ
أكثر ما قالوا فى الخمْر
حَجُّوا بين يديه . .
وتواصوْا بالآفاتِ العشْرْ
انتفخَ الضفدعُ
أمسى طاووساً
أرضى فى مشيتهِ من يتولَّوْن الأمرْ
قدَّم لهم الحُبْ
أحرقَ مهجتَه بين يديْهم
وجَنَى أنجمه الزُّهْرْ

قالوا عنه:
هذا مَثَلُ السأَّعينَ إلى نعمتنا
صعدَ إلى سلُمهم
نظرَ إلى الدنيا نظرةَ صقرْ
اهتز السلُّمُ فى قدميه بغتة
فهوىَ يستْصرخُ من قالوُا فى حضرتهِ خمرا

. . . .

ـ كانوا ينتظرون متى يسقْطُ
حتى يشحذَ كلُ منهم مدُيَتَهُ
فى يوم النحْرْ!

لزوميات

١ - لزومية الغربة

- اخترقْ ياجوادى
سماءَ البوادى
ونوِّرْ سوادَ سوادِى
بهذا الوهجْ . .
- إننى مُذْعنٌ
إذ أنا مُوقِنٌ
أن فيْضاً من العشْقِ
فى خاطرى ينبَلجْ . .
- قد أُعاندُ حيناً
أُسرْبِلُ خطْوىَ بالسُّهدِ حيناً

أُذوِّبُ مضغةَ قلبِى . .

ولكننى جمرةٌ فى المدى تنْسَرِجْ . .

ـ بحرُ عشْقِى عميقْ

موجُه . . جامحٌ فى العروقْ

إنه يتحدّى احتدامَ البروقْ

ولكنه البحرُ . .

يصعَقُ أحلامَنا فى اللُّجَجْ . .

ـ شرَّقَ القلبَ حتى اشتعالَ الخيوطْ

غرَّب الخطْوَ حتى اندماجَ الشطوط

ألبَسَ الليلَ فى دفقةِ العصْفِ

أسطورةَ الأُخطُبوط . .

ولكننى راحلٌ . . راحلٌ

للمدى المنعرجْ . .

ـ كيف لى أن أصِيدْ

وهذا المدى مثقلٌ بالقُيودْ

وكلُ الغنائمِ ياشيخُ . .

تُعرضُ فى السّوقِ
صارخةً بالجحودْ. .
وهذى شباكىَ ظلّتْ زماناً طويلاً
تحاولُ صيْدَ المُهَجْ. .
كيف لى أن أُباعدَ عن خاطِرى
غُربةَ السّفْحِ ياشيخُ
كيف . .
كيف تنالُ خُطاى ـ مع الليل ـ
سِدْرةَ هذا الدَرَج. .

٢ - لزومية الشوق

ـ القلبُ يتوقْ . .

للرؤية . . حين اللغةُ تضيقْ

ولكشْف السِّتْرِ عن العاشقِ والمعشوقْ

عن تُربة هذا الغرْسْ . .

ـ فتَّحتُ عيونَ القلبْ

أعلنتُ على أجنحةِ الطيرِ

لغات الحبْ . .

وتوسَّلْتُ أرتِّلُ آيات القُرْبْ

لعلى . . تُشْعِلُنى جَذْوةُ هذا الدرسْ . .

ـ عتقت كئوسَ الكرْم

أنضجتُ الخبزَ على أوجاع العظْمْ
فلعلّى يُقْبَلُ منى هذا العزْمْ
ولعلَّ تُطهِّرنى ـ فى موقدِها ـ الشَّمْسْ . .
ـ طأطأتُ برأسْى . .
فاجأنى لسْعُ الخوفْ
قلتُ لعلَّ لهيبَ الشوقِ تجسَّدَ فى طِيْفْ
ولعلى بعد قليلٍ . .
أُغمض عينىَّ . . كأنى يرْتدُّ إلىَّ الطرْفْ
وينطلقُ بأحلامى القوسْ . .
ـ عفواً . .
كنتُ أسابقُ وهْمِى
وأودُّ ملاذا . .
فغدا قلبى . . والدمعُ عليه . .
أفلاذا . . ورذاذا
قلتُ: السَّلْوةَ ياربَّ السَّلْوة
ذاك قضائى . . لا رجعةَ فيه . . مَعَاذَا

اعذُرْنى ياربَّ العُذْر
سوَّيْتَ القلبَ بطَمْىِ الشَّوقْ
فلم ألبَسْ فى خَطْوِى
سيفاً.. أو دِرْعاً.. أو تُرس..
- عفواً..
ماكنتَ إلهَ البخْسْ
ما كنتَ إلهَ البخْسْ..

٣ - لزومية الجمال

ـ اللَّظى . . آيةٌ . . ومذاقْ
وأنا فوق أحْصِنَة البْرقْ
فارسٌ يتطهَّر بالجُرحْ
أهْوَى جنونَ السِّباقْ
أتحدَّى الشَّطَطْ . .
ـ وَاهٌ حين تصفُو ابتسامُ الشِّفاه
وتطيبُ الحياة . .
وأصرخُ: أعشقُ هذا الجمالَ
وليس بقلبى سواه
فتنظرُ كلُ العيون إلىَّ

يعزُّون فى . . عقلىَ المُختَلَطْ . .

ـ عاصفٌ فى بحارِ الغَرَقْ

ضاقتْ الأرضُ ضيقَ الحدَقْ

أىَّ ذنبٍ جنَى لَو فؤادى عشِقْ

واكتوى فى لهيب الهوى وانخرطْ . .

ـ حسنُه لا يُعادلُه أىُّ حُسْنْ

غُصْنُهُ لا يُطاوله أىُّ غُصْنْ

مادرى القلبُ

مالَمسَ الكفُ من قَبْلُ

ما أُشْبِعتْ بالملاحة عينْ

إنه دُرةٌ . . بين كلِ الذُرَا

تُلْتَقَط . .

ـ لا تلومُوا اشتعالَ الضُّلوعْ

لا تلوموا السَّفائنَ فى بحرِها

لا تودُّ الرجوعْ . .

ليس من ذاق طعْمَ الجمالِ

- كم لم يذقْ - بالولوغْ . .
إنه صاعدٌ
صاعدٌ
يتحدَّى السَّقَطْ . .

٤ - لزومية الحكمة

ـ أوَّاهاً أَمسى القلبُ

يزمزمُ فى جنبىْ

مسكوناً بالصبوةِ . . شقَّ جدارِى

انطلقَ إلى لا شىْ . .

واستلقى مجنوناً فى كهفٍ

لا يجرؤ أن يدنُو منه

شقىْ

أتراه يبحثُ عن دفءٍ آخر . .

ـ لا حقتُ الخطْوَ

فهمَّت بى فى الصحراءِ وحوشْ

طاشَ السَّهمُ

وقبلاً . . ما كان السَّهمُ يطيشْ

أتُرانى الآن تشظّيتُ

أم العالمُ صار على لوحةِ كفىَّ

حروفاً . . ونقوشْ

وصرتُ أنا أنظرُ فيه نظرةَ طائرْ . .

ـ هل حقاً أقبلتْ

أم أن الباطلَ قد أنشبَ أظفاراً

حين توجستْ

هل يسقطُ عنك حجابُ الصمتْ

أم أن الحكمة ياشيخى

فى الفَلَك الحائر . .

ـ دُلَّ القلبَ الآنَ

ولا تتركْه مجنُونا . .

جفِّفْ هذا الدمع . . وقطِّرْ دفئَكَ

صار الدفءُ بعالمِنا نهباً وظنونا

بلّغْهُ ياشيخُ سكوناً . . ويقينا
ذاقت نفسى كل هموم الشغفِ القاهر . .
ـ احمِلْنى فوق جناح الحكمة
لا أبغى أن يرجعَ قلبى
بحصادٍ خاسر . .

٥ - لزومية المرايا

ـ أخْطأَ . .

حتى أنَّتْ من سطوتِهِ الأرضْ

وجفَّ الماءُ بقلب الحوضْ

شقَّت أغلالُ البلْوى ظُلمتَها

تُشْرِعُ أسنانَ القبْض

لكأن القدَر ترصَّدَ خطوتَه وحده . .

ـ انطلق عتيا . .

لا يملك من دنياه الحوْلْ

ألقته جبالٌ لجبالٍ

وسهولٌ لسهولٍ

ومياهٌ لمياه . .

حتى انصهر النعْل . .

ورأى فى كل مرايا الأرضِ خطيئتَـهُ

بعيونٍ نُجْلْ

فاستلقى دمعاً وشروداً

وافترشَ لهيبَ الدنيا . . جَهْدَه . .

ـ أىُّ سماءٍ تقسُو بعدُ عليه

بلا رحمة . .

أىَّ إلهٍ يجمدُ قلباً

والمخطىءُ بين يديه معترفٌ يشكو إثْمه

أىُّ حنينٍ يشْوى قلبَ العاشقِ

لا يكشف تلك الغُمَّة

ويفضُّ قيودَ القهر الصَّلدة . .

ـ تلك مرايا الزمنِ تراوغُنا

أين نسير . .

وتُسدِّدُ أشواكَ الخطْو بأعيننا

ويعزُّ النور . .
من ياشيخُ عساه يُعطينا
ظهر مرايانا . . والعمرُ قصير . .
من ياشيخُ يخلِّصنا فى زمنِ الردَّة
من يُبعدُنا عن تلك الشدَّة . ؟

٦ - لزومية الفَلَك

ـ كوكبٌ فوق جفْن المدارْ

جانحٌ . .

أخرجَتْه الكواكبُ من ليلِها

فأحسَّ الصَّغَارْ

نسِيَتْ أنه كان يوماً نديم الثُّريا

لأولِ ضوءِ النهارْ . .

كان ملءَ الأفقْ . .

ـ إثمُه : . أنه ملَّ هذا المدارَ اللَّعيْن

واشْتهى فلَكاً من يقينْ

وانثنى يستردُّ طلاقَتَه

سائلاً عن بهاء النُّضارِ الدفينْ
وأتى موعدٌ غابَ عنه . .
فقيل: مَرَقْ . !
ـ تلك يا كوكبَ العشقِ كفَّاى
قوسان لا يبْليَانْ
فلكٌ من ندىً . . وحنانْ
ومدارٌ من الدفءِ ملَّ خناقَ الزمانْ
واحتراقَ الحدَقْ . .
ـ أنا مثلك ـ ياكوكبى ـ
ممعنٌ فى السؤال . .
لكنَّ ما فوق أرضى . .
من الماء والرمل . . والريح . .
والقصفِ مثلىَ
تهوى الجِدال . .
ليتها أنكرتنى ـ كما أنكرتْك الكواكبُ ـ
ياصاحبى . .

فأُحسُّ بجْدوَى النزال
أحسُّ بوقعْ الخُطى
واشتعالِ الشَّفَق
ـ ليت أرضى تثورُ وتُعلنُ
أنى نَزِقْ..
ليتها تشهر الآن
سيفَ الحنَق..

٧ - لزومية النور

ـ أضاءنى حين اشتهيتُ الضوءْ

أسْقط كَلَّ غُمةِ

سقوطَ النوْءْ

وأمطر القلبَ بفَيْءِ العشقِ

باسطاً جناح البُرْءْ

وذبتُ فى الشغَف . .

ـ أدركتُ أن أحرفى تألَّقتْ

وأنها تبدأ من جديدِ ترتوى

ولا تحسُّ بالعنَتْ

وأن نفسى لم تعُدْ أمّارةً

لأنها تنالُ ما اشتهتْ . .
وتطرحُ السَّرَف . .
ـ قبضتُ هذا القبسَ الناريَّ
بالعنان . .
عرَّفنى كيف انطويتُ عنه
ـ عمرى الماضى ـ
وكيف أننى خسرتُ فى انطوائىَ الرِّهانْ
عرَّفَنى حين يشفُّنى الوجدُ
طلاقةَ اللسانْ
وكيف فى حضرةِ وجهه . .
أقف . .
ـ هل للعطاءِ بعدُ . .
أن يقلَّ
أو يُقبضَ
أو يغيمْ . .
وهل لمن ذاق حلاوةَ السَّنا

لا يطلبُ النجومْ . .
وهل لمن ودَّعَ ليلَ النفسِ
يشتهى الغيومْ . .
ويركبُ الصّلف . .
ـ ها . . كلُ شىءٍ فى الخلايا يعترفْ
منذ أُضىءَ القلبُ بالعشقِ
اصطفيتُه قلباً
فشفَّ البوحْ
ونوَّرتْ به الأقلامُ والصحف . !

٨ - لزومية اليمّ

ـ عطشٌ محمومٌ فى حُلقومى
وغليلُ القلبِ يثرثرُ . .
يشهقُنى . .
يصعقنى حين أنازله بكُلُومى
نسيَ القلبُ زماناً
كان ـ بسقمى ورضاى ـ قَسيمي
فتعلَّل حين عجبتُ لضيقِ الصدرْ . .
ـ أنفلتُ الآن أودع أغلالَ القلبِ
إلى موج اليمّ . .
لا أبغى أحداً يرصُدنى

أو يُؤثرنى بحنان الضمّ . .
حسبى أن تصبح أمى الأرضْ
وأبى اليم . .
ولا أشكو بهما اليُتْم
ولا ينقُصَ منى العمْر . .
ـ فرعونُ أنا . .
والقصرُ . .
وحُلم الفارسِ فى عينىْ
وصراخُ الموج
وأشرعةُ السّفن
وحيتانٌ لا تقبل أن يزحَمَها فى اليم صبىْ
وجبالٌ شاهقةٌ
جئتُ أنازعهُا حين شربتُ المِلحَ
وغذّيتُ عروقى
وسننتُ ذراعىْ
لا أبغى الساحلَ أن يلقانى بالقهرْ . .

ـ آن أوانُ عبورِ الخُلجانِ العشْرْ
فمم نخافْ . .
ومن يكسرُنا . ؟
والشوقُ بداخلنا طوفانُ الجمْر . .
مم نخاف . .
وعطشُ الحلقوم . . قديم
والملحُ بداخلنا
لن يصبحَ ماءً عذباً . . أو خمْر . .

٩ - لزومية الجموح

ـ سواكَ لا صوتٌ

ولا حديث . .

سواك لا مأوى . . ولا مُغيث

سواك لا كأسٌ روتْ

ولا قطافَ يمنح الشّبَع . .

ـ لكنَّ فى حشاشتى وغلاً شقياً جامحا

يريدُ أن يثقبَ جلدَ القلبِ

صارخاً . . ونازحا . .

يضمّ عُرضَ الأرضِ والسماءِ

قبضةً . . ويضطجعْ . .

ـ أسمع خلف خاطرى . .

دبيبَ حرفٍ ساخطِ

وهمسَ شعلةٍ من الرحيقِ

فى اختناقِ الحائطِ

من ياترى يفوز بى

ومن تراه ينصدعْ . . .

ـ جرِّبْ فلن تخسَرَ غير خطوةٍ مراوغة

فحُجتى ياصاحبى . . مسنونةٌ . . ودامغة

تبحرُ فى موج اشتهاءٍ

وولَع . .

ـ صحتُ : وشيجتَى . ؟

قال : وهل يَضير لو تراها تنقطعْ

فتُطلقُ الرياحُ أخرى

والعيون تتّسعْ . .

تحملك الآن إلى رُؤى الوجدِ

وألفِ خطوةٍ

والف الف مُنتجعْ . .
حتى إذا عدتَ قريباً أو بعيداً
سرتَ فوق ذروةِ الخلْقِ
فتىً مَفَوَّها . .
لديك ماليس لدى الخلقِ
من البيانِ المُبتَدعْ
جرِّبْ . .
ففى الجموحِ ذِروةُ الشبَعْ . .

١٠ - لزومية الخطف

ـ ما عدتُ إلا الصَّبْوَ والصَّفْوا َ
ماعدتُ خِلْوَا
وما اختفى نجمُ المدى عن ومضه
سهْوا . .
نحن الهوى . . والبوحُ . . والسّكنْ . .
ـ لم أكْملِ الجملةَ فى لسانيِ
ولم يكن قلبيِ مكذّباً بَنَانيِ . .
حين أشرتُ مُسلماً نفسيِ
وواضعاً سناني . .
كأننى بالأمسِ لم أكنْ . .

ـ يخطفُ قلبى . . أعينى . . كما يشاءْ
لديهَ ظلِّى . . وهجيرى . .
واحتوائى . . والعطاءْ . .
أنزلتُ فى كفيه أوجاعى
أحالَها البلسمَ والشفاءْ
وودّعتْنى فى المدى المحنْ . .
ـ لا أصمتُ الآن
ولن ينالَنى الخرَسْ . .
فلن يضيعَ من يدىِ هذا القبس
ولن أحسَّ غير أنى
فى سنا الرحيق أنغمسْ
وأقهرُ الزمن . .
ـ مُضمَّخٌ أنا بعطْرِ هذا الشوقْ
مُسربَلٌ فى داخلى
بنار هذا العشق
وصاعدٌ . . مخترقٌ

لسمْتِ هذا الأفْق
أنظرُ فى زهْوٍ إلى نضارةِ المُزُنْ . .
ـ لا أرتضى العودةَ
للأرضِ وللفتنْ . .
لا أرتضى الإحَنْ . .

١١ - لزومية الاختراق

ـ كغزالٍ يمرحُ فى البريَّة
أو ريحٍ تخترقُ مداها
تنشرُ رائحةَ الدفءِ شذيَّة
هبَّتْ أحلامى من سكرتِها
تنشُلنى من أوجاعى المطويةَ
تسكبُ فى قلبى اللهفةَ والرَّىْ . .
ـ أجتازُ الآن سمائى
شوقى يُسقط لى ألف حجابٍ وبلاءْ
وهو بُراقى . . أنظرُ فى عينيْه
فيمنحُنى عزْمَ نَبِىْ . .

ـ أنظرُ أقماراً تعنُو . .
وشموساً تسجُدْ
أنظرُ ناراً تمنحنى قَبَساً من عسْجدْ
ورؤىً بين يدىِ تتجسَّدْ
وتجدِّدُ فى قلبى شوقَ فَتِىْ . .
ـ ساءلنى شيخٌ يتبتّل
فى ظل شجيرة
كان الصمتُ لسانى
ضاعتْ منى كل لغاتى المدَّخرة
ماكنتُ لأقوى أن أحكىَ عن أرضىِ
ونعيمُ الكون يسوقُ أمامى صوَره . .
ويُشبع عينىْ . .
ـ أدركَ شيخى . .
أنى مهمومٌ . . مقهور . .
أخرَجَ قلبى . .
أمطره بالدر المنثور

قال: الآن لك العشقُ

لك الشوقُ

لك النور

لك الأحلام النَّضِرة

فعدُ إن شئتَ

فأنت الآن الأقوى . .

١٢ - لزومية البوح

ـ فى بُعده . . قُربى

فى قُربه . . بُرْءٌ من الكرْبِ

فى لومه . . التكفيرُ عن ذنبى

ماذا عساى أودُّ من بذْلِ

ـ أقسمتُ ما باح اللسان . . وما

إلا بَوحْيِ العشقِ حين همى

وسهْمِ هذا الشوقِ حين رَمَى

فغدا لسانى فى الهوى نَصْلِى

ـ قطّرتُ من كبدِ السَّما قَطْرِى

روًّى سَقَامِى . .

فارتوى شعرى . .
جرى يمدُّ الخصْبَ فى قفْرى
ويُشهد الدنيا على وصْلىِ
ـ مهما يماطلْ فى هواه معىِ
فاللوحُ منقوشٌ به ولَعِى
والبوحُ آهاتٌ من الوجَعِ
والعشقُ قد صحَّتْ به سُبْلى
ـ ياساكنى الشرفات فى أفُقى
منارةً فاضتْ على وَرَقى
أسماؤكم لونٌ على حَدَقى
ومنْسَكٌ يخلُو به عقْلى
ـ وميضُ برقٍ ذاك أم قمرُ
وبوحُ قلبٍ ذاك أم خبرُ
شقَّتْ عصاى البحرَ تعتصرُ
فصبَّ موجاً جائرَ الوبْلِ . .
ـ قلت استوى عندى هوى المطْلِ

وحرقةُ الأقوالِ والفعْلِ
لكنَّ من أهوى يقاسمنى
بوْحى..
وهذا منتهى شُغْلِى..

١٣ - لزومية السَّفر

ـ جهَّزَ لى وِسادةً . . وزادا
وقال: هذه خريطةٌ ترى بها
السهولَ والوهادا . .
فلتنطلقْ تسعى بأرضِ اللهِ
واسلكِ الرشادا
وقفْ أمام كل رؤيةٍ على مهَلْ . .
ـ سرتُ تسوقُنى ليل نهارٍ
لهفتى . .
قلتُ لنفسى: ما الذى يُسىءْ
لو أننى طرحتُ جانبى خريطتى

وسرتُ فى هُدَى فؤادى
واتبعّتُ حُجَّتى . .
ألقيتُها فى الموج
وانتظرتُ حتى نالها البلَلْ
ـ تلقّفتْنى فى المدى عوالمٌ بلا زحام
ليس بها ماءٌ . . ولا طعام
سوى اشتعال القلبِ بالهوى
والشوقِ والضِّرام
وحرقةِ المقلْ . .
ـ قلت لحارسِ البستانْ
هذا أنا ياصاحبى . . مُرِيدْ
أملكُ حرفاً ناضراً . . نَضِيدْ
قال: اتّئِدْ
فلستَ بالحروف وحدها . .
تُرِيدْ . .
نريد يافتى قلباً مُبرَّءاً من العِلَلْ . .

ـ قلت: أريك القلبَ واختبِرْهُ ماتشاءْ
إنى أتيتُ من خطىً بعيدةٍ
تغوصُ فى الشّقاءْ
يقتلُ فِيها الخلقُ بعضَهم
ويرتقى فى سُلَّمِ العروشِ
من يُتقنُ لُعبةَ الولاء..
ويعرفُ الحِيَل..
ـ الحارسُ الأمينُ رقَّ لى
يزيدُ فى ودادى
رافقَنى..
فقلتُ لن أرجعَ مرةً أخرى
إلى وسادتى وزادى
فكل ما أهواه فى اشتعال القلب
يكتمل..

١٤ - لزومية البصر

ـ خاتلتُه حين اتخذْتُ عينَ صقْر
لعلَّنى أخترقُ السُّتورَ
تمرقُ العينُ خلالَ النَّحْر . .
أسترقُ النبضَ الذى
غدا فتيلاً واستقرَّ فى جدار الصدْر
لعلنى أرى . . وأرتوى من النُطَفْ
ـ فاجأنى بالضوْءِ مُبهراً ومُبْرِقا
أسقط عينَ الصقْر من هُدْبىَّ مُحنِقا
وضعتُ كفىَّ على عينىْ
لعلّ عينىَّ القديمتيْن أن تأتَلقَا

وتستعيدا بُؤبؤَ الشَّغفْ . .

ـ صرختُ ياربَّ العيونِ والشجونِ

والصوابِ والخطأ . .

أعوذُ من عينٍ ـ تهمُّ أن تراكَ ـ

تنطفىءْ . .

أعوذُ من شوقٍ أبَى

ألا يظلَّ فى ظمأ . .

وأن يظلَّ راكداً بلا لَهفْ . .

ـ سمعتُ هاتفَ الغيبِ

يُدَوِّى من بعيد . .

أن اعترفْ بأن كل جارحٍ

على خُطَى سلطانه شهيدْ

وأن من أبدعَ نورَ العيْنِ

قادرٌ على إطفائه

وقادرٌ على شهودِ كل ساطعٍ شريدْ . .

ولا يناله الأسفْ . .

ـ قلتُ: أَمتْني وابعثِ النفْسَ
وجوداً ثانيا..
قلباً إلهياً مُضيئاً زاكيا
وبَصَراً فيه.. حديداً صاحيا
إني مللتُ أن أعيش كل شيءٍ
في خطاي فانيا..
وأن أظلَّ نهبَ كل منعطف..

١٥ - لزومية العودة

ـ دربٌ مبتدأٌ ليلَ نهارٍ
ليس له آخِرْ . .
ودروبٌ من أول ظلٍ
صاحبُها خاسرْ
يتمنى لو لم يُنفق فيها عمْرا . .
ـ دربٌ مبتدأٌ
فيه الذكرى متوقدةُ المدُّ
فيه العودةُ تنفخُ فى روح اللهفةِ
مهما شقَّ البُعدْ
وتضىء قناديل جنُونى

سراً أو جهراً . .

ـ دربٌ يُخصبُ نخلاً فى القلبِ

ونغماً فى السَّمع

وشغفاً فى العينْ . .

ويُحيلُ قفارَ الدنيا روضاتٍ من يُمْنْ . .

ويمدّ بكل زواياها صُوَرا . .

ـ هذا مبتدئى من قلبِ القلبْ

يمتدّ به العُمر . .

ويقصُرُ فيه الشيبْ

أُشبعُ من طلعتِه البصَراَ . .

ـ أهوى العودةَ أخطو فيها خُطوة . .

أهوى الذكرى أحيا فيها وأجنُّ

أعشقُ . . أعشقُ

يسرى بدمائى وهجُ الصَّبوة . .

وأنالُ به وطرا . .

ـ لا جَرَمَ إذا وقفت قدماى

على مُبتدئي
أو أسرعتُ إليه أروى ظمئي
لا جرَم إذا أنزلتُ بحضرته صدَئِي
ونسيتُ الكدرا
وتنور ملءَ دمائي شوقي
شعراً.. أو شمساً..
أو قمرا
لا لوم عليّ..!

١٦ - لزومية الحرف

- فى البدءِ كان الحرفْ..
إشارةً تفتح باب الشمسِ
أو تكُفْ
شهابَ أفقٍ ساقطاً
يقصفُ دبَّ الخطْوِ أو يشفُّ
يمدُّ نهراً أو يحيله خرابا..
- حدقتُ داخلى
لعلَّ حرفاً أمتطيهِ كوكَبَا
يُحرق عشبَ القلب
يُسقط المدى.. والحُجبا

وجدتُ (كافاً) حيّرتْها (النونُ)
أمهرتها . . لهبا . .
أسرعتُ أصطفيها دون غيرها
خطابا . .
ـ طرحتُ حرف (النون) جانباً
وجئتُ (باللام) التى تحيط كل شَئْ
الشوقَ واللقاء . .
والشمسَ والجوزاء
والنار ـ فى المدى ـ والفئْ
قيلَ ازهدِ الآن فكل شيءٍ
لا يُنال هكذا بوجهه الندىْ
ويُسقط النقابا . .
ـ قلتُ : استعدتُ جمرةً
لا تقبلُ الزُهدَ ولا القليلا
توحَّدَ الحرفُ بخطوى . .
صار قوساً يغنمُ النجومَ فى سمائها

ويرفضُ الأفولا . .
فما الذى ينقُصُ بعدُ فارساً نبيلا
وما الذى يملك أن يحيلَ
شوقَه سرابا . .
ـ اخترتُ حرفى منذ بدْءِ خطوتى
يعبرُ بى البحارَ والوهادَ والشعابَا
علّمنى . .
كيف أكون طامعاً مُعَانداً
لا أرهبُ الصعابا . .

١٧ - لزومية التجلِّى

ـ تحت جناحٍ يسبحُ فى ملكوتِ النورْ
رتَّلتُ مزاميرى . .
لم أُسقطْ منها مزمورْ
وخلعتُ الجلدَ أضمِّخُ أوردتى
بعطورٍ . . وبَخُورْ
وتكورتُ بإنسانِ العيْن . .
ـ مولاى . .
أنا فى بابك أَحشُرُ نفسى فرْداً
لا أملك إلا فيضاً
يشحذُ فى قلبى القصْداَ

ويملؤنى . . وجْدَا
لا يُدخلنى فى ليلِ الظنْ . .
ـ جلَّ النورُ
تمنيتُ أرى وجهى خيطاً وشعاعَا
جلَّ القُربُ
وددتُ أرانى بينَ يديه ـ ذراعا ـ
جلّ الحسْنُ
سواهُ يشكو فى رائعة الشمسِ ضياعَا
جل المأوى . . والحصنْ . .
ـ مولاى . . اقبلْنى . . وتجلَّ على قلبى
وامنحنى عشقاً نورانيا
يخرجنى من كربى . .
يستلّ ظلامِ النطفة
يكشف عنى ليلَ الحُجْبِ . .
يجعلنى نصف إله . .
يشهدُكل الحسْنْ . .

- مولاى -
أنا العاشقُ
ليس بقلبى غيرُ العشق
أنا الشاهدُ
ليس بعينى غير الشوْق
إنْ لم يوسعْ لى صدرُك
فليصعقْنى البرْق
تذْرُونى الريح بأفلاك الكوْن . .

١٨ - لزومية القنص

- وقتُكَ وقْتِى
 وملامح قلبكَ .. نعْتِى
وذرا هامةِ أحلامِكَ ـ سمْتِى
فمتى تُقنصُ أوجاعى
ويُداوَى سقَمِى ..
- حين قرأتُ قديم عهودِك
ضلَّت نفسى بعضَ الوقت
يشحذها شوقٌ محمومٌ لصعودِك
قلتٌ: لعلّ ضلالَ النفْسِ
شهادةُ صدقٍ تُدنينى لشهودِك

وتقوى هِمَمى . .
ـ أعددتُ القوسَ ليوم القنْصْ
وتدَّرعتُ بكل الحِرصْ
وتذرَّعتُ إذا وقع اللومُ
بما بى من نقصْ
وبما أطويه من نَدَمى . .
ـ كانت آلاف الطير على قُنَنِ الأشجار
ووحوشٌ تعوى ليلَ نهار . .
وشموسٌ تلهبنى بالنار
وتلوِّح لى بالنقمِ . .
ـ حاولت أراوغُها بالكِلم المعسول
قطَعَتْ دونى كلَّ سبيل
قالت: لن يَصْلُح قنصُكَ
إلا ببلاءٍ ورحيل
لا تتوقفْ فى خوفٍ أو سأمٍ . .
ـ همَّت عيناى تحيطان العالمَ

قبضًا .. وخيالا ..
أُرسلُ فيه نشابى ..
يُسقط طيراً .. وغزالاً
ويُروِّى من فيْض العشقِ جمالاً
فحمدتُ الله على نِعَمِى
وقنصتُ العالمَ فى قلَمِى ..

١٩ - لزومية الآه

ـ صراخُ قلب ذاك .. صامتٌ
أم آهةٌ مُجلْجلة
وقْعُ خطىً ثقيلةٍ فوق رُبى الشوقِ
أم الصخورُ القاتلة
تُجدِّدُ الخطر ..
ـ آهِ من الصمتِ الذى استوى
فوق موائد الأقلامْ ..
وفى حماه تشحُبُ الأحلامْ
وتنمحى الذِّكَر ..
ـ آهِ من العشقِ الذى

استكان فى قوسيْن . .
حُمقٍ . . وريب . . محنتينْ . .
وغابَ فيه البوحُ . . والحذَرْ . .
- آهٍ من الشوقِ الذى
أحرق فى ضِرامِ جفْوة
وأُخمدت فى موقديْه الجَذْوة
وآثر الكدرَ . .
- آه من الآه التى تُسقط
كل أيكة جديدة
تُغرقُ فىَّ سعيرها المائىّ
كل نبضة معقودة . .
وتُمطر الغيَرَ . .
- آهٍ من اللوْمِ الذى يقصفُ نصفَ العُمر
يحفرُ غُصَّةَ السُّهدِ بعمقِ الصدْر
كأنها نارُ سَقَر . .
- ياليتها الآهُ التى تأتى على عشْبِ الحَشَا

وتحقنُ القلبَ بكل نبضةٍ جديدةٍ
كما تشا . .
وتشحذُ السَّمع الخفىَّ . . والبصَرْ
ـ ياليتها الآهُ التى تضىءُ كلَّ شىء
تظل دائماً على سَفَرْ ! . .

٢٠ - لزومية الذوق

ـ كأسٌ تعصرِنى ليلاً
لتفيض صباحاً شمساَ
وتقطِّر فى أوراقى الحسَّا
وتدوِّى فى صدرى نبضاً
وبخطوى جرْسَا
وتحيلَ النهر السارى فى أوردتى
خمرا . .
ـ أشربُ منها . .
فأرى العالمَ فى قبضةِ كفْ
وأرى العمرَ الماضى والآتى

فى صفْ . .
وتعجز عيناىَ عن الوصفْ
أدركُ أن مذاق شرابى قَرَّبنى
ما كان شرابى سُكْرا . .
ـ السِّرُ استرخى فى كفىِّ معسُولاَ
ونعيمُ الدنيا . . موصولاً
ولحونٌ ملأت سمعى
حلماً قُدسياً مبذولاَ
يحملنى السرُّ إلى آفاقِ اللهفةِ
طيرا . .
ـ أسرعَ لى من بين كهوفِ الصمتِ
خليلْ . .
يجذبنى للعودةِ عن هذا السرِّ المجهولْ
قدَّم لى آباراً من خمرٍ
تروى كل غليلْ
وتشبعنى عطرا . .

ـ قلت : وماذا تعطينى آبارُكَ من ذوقْ
وكأسِي لا ترويني
حتى تُظمينى بالشوقْ
لو أنك ذقت الآن لفجرتَ الآبار
وأسرعتَ إليَّ بوجه طلْقْ
ولامستَ العسجدَ والدُرَّا
ـ ذوْقى لا يعدلُه ذوْقْ
منذ عرفتُ السِراَّ
ونطقَ لسانى سحرا . .

٢١ - لزومية الذهول

ـ عصفتْ بى ريحُ الرؤيةِ
في وهج الشمس . .
ومعى من نفحاتِ الهيبةِ . . غرسْ . .
ودليلى فى الفلواتِ
مرابعُ قيسْ
يا زمنِ الشدَّةَ هدِّىءْ هذا الجبروتْ . .
ـ أخترقُ الآن فضائى
لا أخشى خطراً . .
أَنشُدُ هذا الجبلَ النورانىَّ المُزدهراً
أُنشِدُهُ . . شعرا . .
أشهَدُ فيه سرَّ الملكوتْ . .

- صعقَ لسانى
صعقتْ منى القدمانْ
توهَّجَت العينانْ
دوَّى بهما شوقُهما - الطوفانْ -
وطغى فوق القلبِ سكوتْ . .
- صاحتْ عيناى كعصْفِ الريحْ
أنا منكَ وقلبى فى العشقِ طموحْ
أنتَ الغارسُ عشقَك فى قلبى
والنبضُ صحيحْ . .
وذكرى لجمالكَ
لاَ يُثنيه خفوتْ
- يذْهلُ قلبى . .
تذهلُ عيناى
ويذهلُ خطوى الثائرْ
لكنى أزهقُ عُمرى
وأُفتِّتُهُ مُهَجاً وسرائرْ
من أجل لقاءِ طاهرْ . .
ثم أموت . !

٢٢ - لزومية العطاء

ـ كنزاً مخفياً كان العشقْ

أمطر ربُ العشاقْ

نُطفاً غُمِسَتْ فى وهجِ البرقْ

تثمر فوق الأرض

عشاقاً أبد الدهرْ . .

ـ العاشقُ دينُ لقاءٍ . . وعطاءْ

لهفتُه الشعرْ

وخطاه السِّحرْ

وصبوتُه ــ وحىٌ . . ونداءْ

ونبضُ القلبِ لآلىءُ دُرْ . .

- ينطلق جواد العشقِ شهاباً
يُحرق عشبَ المَيْن . .
يحيلُ الأسقامَ سراباً
لا يُبْقي لونَ القفرْ . .
- ألقٌ يتنوَّرُ بالعشقْ
تتوحَّدُ فيه عيونٌ . . وشفاه
يتلاقى فيه نبضُ القلبيْن
يتسامى بخشوعٍ وصلاة
يشتعل بموقده الجمْر . .
- فلماذا يخشى الخلقُ
غليلَ الصَّبْوة
ولماذا يرضوْن قليلاً
فيعانى القلبُ ظلامَ الشِقْوة
ويعانى الأسرْ . .
- هانحن العشاقَ احتدمتْ فينا
نيرانُ الصَّهر . .

فبذلنا أنفسنا
انطلقْت بين نجوم الأفق
بدوراً .. وثرياتٍ زُهْر ..
لا نبغى أن نرجعَ
للأرضِ الحبْلى بعطاءِ الغدْر ..

٢٣ - لزومية السؤال

- فولاذٌ بابُكَ لا يُفتحْ
صمْتٌ قهرُكَ مهما شرَّقَ
أو غرَّبَ . .
يجْمحْ . .
للقلبِ العاشقِ والصابْر . .
- يُرضينى أن يلقانى بابُكَ
بذراعِ القرْبْ
فأنا معتصرٌ ناراً . . وضياءً
بحنينٍ رطْبْ
ولهاثٍ نادرْ . .

ـ أسألُ . . لكنَّ العالمَ من حوْلِي
لا يسْمعْ . .
أسألُ . . والقلبُ الخاشعُ
فى صمتِ العالمِ يُفْجَعْ . .
ويعزُّ عليه النومُ الناضِرْ . .
ـ العينُ سؤالْ . .
وشَغافُ القلبِ سؤالٌ . . وسؤالْ
والصمتُ على أبوابكَ سيفٌ باترْ
ـ ماذا لو يشكو القلبُ ويسألُ
مِلءَ النبْضْ
ماذا لو تصفو يوماً لهواهُ الغَضْ
وتضىءُ الخاطرْ . .
ـ ماذا لو تُسقطُ مطراً
يُخصبُ فى الرملْ
ماذا لو صدَّقتَ القولَ
وباركتَ الفعلْ

ورحمتَ القلبَ الضامرْ . .
ـ فولاذٌ بابكَ
لكنى لن أهدأ يوماً
فأنا يملؤُنى شوقُ مُغامرْ
صمتٌ قهرُك
لكنى لن أُطفىء فى قلبِى نوراً
يجعلنى هذا الشاعرْ . !

٢٤ - لزومية الصحْو

ـ تهلّلَ حُلميَ حتى استوى
دوحةً من ثمارْ
دنتْ بغصُون النُضَارْ
وعطرٍ يُفجّرُ في القلب شمسَ النهارْ
تزدهي بالصُّوَرْ . .
ـ جاءَني باسماً مُعلناً
أن عمراً من الحبِ أشْرقَ في اللوحِ
حلوَ السَّنا . .
أن يوماً من الصفو يمتدُّ . . يمتدّ
يُشبعنا بالمُنى . .
قادمٌ من سفَرْ . .

ـ كنتُ في الحُلمِ أحتضنُ النجم
بين يديّ . .
كنتُ أنقُشُ شعريَ فوق ذراعيْه
أزجي له نفحةَ الحبِ زهراً نَدِيّ
أشُقُّ ظلامَ المدىَ
وأخاصِرُه بالحنينِ العَتِيّ
والجنونِ النَّضِرْ . .
ـ أعصِرُ الآن قلبي . .
ورأسي ثمِلْ . .
اقرأ الآن شعري لبوْحِ المُقَلْ
أتحدى بسرِّي المدى
أتحدى الصدى . . والمللْ . .
أتحدَّى الضَّجَرْ . .
ـ فجاةً . . هبطَ الصحوُ فوقي
وشوقيَ في مقلتي يضطرمْ
حاول الصحوُ أن يُسقطَ الحلمَ

لكنني كنتُ أعمى.. أصمْ
رحتُ أوقدُ شعلةَ حُلْمىَ
أعشقُ ما شاءَ لي العشقُ
أنهلُ من نبع تلك النعمْ
وأودِّعُ نهرَ البلاء العكرْ..
- صحوتى الآن حُلُمٌ
وحلمىَ صحوة..
وبينهما الآن أوثقُ عُروة
وسيلٌ من الآى يهبطُ
يُعلنُ وحىَ النبوَّة
واكتمالَ الخبرْ..

٢٥ - لزومية الصفح

ـ قالْ :

ليس العالمُ ملكاً ليدِيْنا

ليست أشجارُ الصفصافِ

تُظلِّلُنا . .

فابحثْ عن أرضٍ أخرى . . وسماءْ . .

ـ قلتُ :

نجرِّدُ أنفسَنا من طين الأرضْ

نصفو من أغلالِ القبْضْ

ونشْحَذُ راسَيْنا بالأنواءْ . .

ـ قالَ: وأين طريقُ النور

وكلُّ الطرقاتِ رفاتٌ . . وشكاةْ

والشوقُ انفطرَ على قارعةِ الدربِ
وحيداً فى الظلمات . .
يبحثُ عن مأوى . . ورجاءْ
ـ قلتُ: لماذا لانبدأُ نحنُ الآن
ننسَى هذا الزمنَ الجائرَ
ونمدُّ يدْينا للحب . .
نلقاه بزهور الريحانْ
نخرجه شجراً خصباً من تلك الهيجاءْ
ـ قالْ:
لكنى أذنبتُ كثيراً فى حق الحبْ
حين هجرتُ حماهُ . .
وأعميتُ القلبْ
وتعللتُ بعجزٍ وبلاء . .
ـ قلتُ: الحبُ كريمٌ يصفح عن أحبابِهِ
فالهثْ يا مقرورُ إلى بابِه
وانْسَ العمرَ الماضى . . والأهواءْ

ـ قال: جئتُ بأوراقى

قلتُ : كفاكَ تُلوِّحُ بالأشواقِ

وبصفوٍ . . ووفاءْ

ـ قال: أنا منكَ إليك

قلتْ :

أنا منك إليك

نتوحّدُ فى ذروة دفءٍ شمَّاء

تصفو فيها العينُ

ويجلُو السمعُ

وتدنو فيها الجوزاء . .

وتُغفرُ كلُّ ذنوبِ البشر السَّوداءْ . .

٢٦ - لزومية الحِمى

ـ إلى هواكَ أنتمِى
وبالسُّها فى القبةِ الشَّماءِ
أهتدى . . وأحتمِى
وكل شىء فى الخلايا
لهفةٌ لسرٍّ هذا الطوْطَمِ
لنبْع هذا المفترقْ . .
ـ دللتَ عينىَّ على هُدَاكْ
ولم يكن فى قلب مقلتى سواكْ
فصادفتنى الريحُ تقصفُ الخُطى
وتُطلقُ الهلاكْ
لكننى مازلتُ للفضاءِ أخترقْ . .

ـ حماكَ ظلٌ.. ولهيبٌ.. ونَهَرْ
حماكَ شمسٌ.. وعُباب.. ومطرْ
أدركهُ.. ولست أشكو
أو أصيحُ بالحذَرْ
فكل شيءٍ داخلى
منجذبٌ.. لذلك العبَق..
ـ باريتُ كلَّ عابرٍ إليكَ
حتى جاوز الخطابُ كلَّ حَدْ
راهنتُ كل فارسٍ فى ساحةِ الجَلَدْ
فكنتُ أولَ الفرسانِ
لم ينلْ منى أحَدْ..
لأنك اتحدتَ بالسيفِ
وبالقلبِ
وبالمدى.. وبالشفقْ..
ـ وكنتُ أخشى إن تمرَّدَ القلبُ
ودوَّى مرةً بآفةِ السؤال..

أن تأمُرَ الحراسَ أن يُنازِلُونِى
وأنا لا أملكُ السيفَ
ولا أقوى على النِزالْ . .
أخشى احتراقَ الشوقِ فى اللَّجاجِ والجِدالْ . .
أخشى قواى تنسحق . .
ـ لكننى أدركُ كم صفحتْ
وكم تقاسمتَ معى شقاءَ الصمتْ
وكم أضأتَ أحرُفى . .
وكم شحذْتْ . .
من أجل أن أهوىَ . . وأستبقْ . .
ـ إلى هواكَ لن أضِلَّ المنطلقْ
إلى حماكَ أحترقْ . .

٢٧ - لزومية الاحتواء

- النهارُ انقسمْ
والللظى يحتدمْ
والمدى موجُه يضْطرمْ
إنها طلعةٌ أشرقتْ فى الرُبى السامقة . .
- الصِّبا . . والجمالْ
واشتعالُ العيونِ بسحرِ الحلالْ
وألفُ قصيدةِ شعرٍ . .
وألفُ سؤالْ . .
وسكرةُ قلبٍ تعطّر هذا المدى
وتجلجلُ غاربةً شارقة . .

ـ أيها العاشقون استوَوُا فى الصفُوفْ
واحْشُروا العشقَ بين يديكم هنا . .
وانقروا بالحنينِ الدفوفْ
ها هنا صَحَّ ضَوءُ النهارِ
وصحَّ دعاءُ الكفوف . .
هطلَ الوجدُ يَشْفى قلوبَ الأسىَ العاشقة
ـ قبلتى الآن طلعتُه الرّاحمة
وعلىَّ الصلاةُ . . علىَّ الدعاءُ
ولى أرتوى وأُرطِّبُ خُطوتىَ القادمة
وأوقِّع أحرفىَ الحالمة . .
فوق لوح السنا . .
فى ظلال المدى الرائقة . .
ـ قادم بالجراح التى تشهدُ الآن
آىَ العطاءْ
أضَعُ الآن سيفى
وأُلقى بنفسى بلا حذرٍ أو إباءْ
يتفجر شعرى . .

فأسمع أصداءَه تتردَّدُ
فى لهفة واحتواءْ
أتقدمُ بالخُطوة الواثقة . .
ـ كم أودُّ لو امتدَّ عمْرِي
ولا أغمضُ العين لحظةْ . .
كم أود أعيشُ لهيبَ اشتياقى
وأقتاتُ قيظهْ . .
وأودعُ راحةَ قهْرِي . . وصمتَ حروفى
وأشعلُ جمْرَ جنونى . .
ويصبحُ عمرىَ يقظة . .
وأدفنُ فى الرملِ أحزانىَ السَّابقةَ . .
. . . .
ـ إننى والهٌ بسنا الطلعةِ الصادقة
أتَلاشىَ . . أودّع صمتيِ
ولا شىء ينقصنى
فى بدائعه الخارقة . .

٢٨ - لزومية الزمن

ـ وحشٌ نَهِمٌ لا تسقُط أسنانُه

حتى تنْبُتَ أخرى

ويدوى فى كل فؤادٍ سلطانُه

فى سطوته .. ليس له فى الخلق

مثيلْ ..

ـ يقف على الأبوابْ ..

يرصُدُ خطوتَنا .. يلبَسُ كلَّ الأثوابْ

ليس له بين الناس خليلْ

ـ ثقُلتْ فينا خطوتُه بالشِقوةِ والهمْ

واسترْخيَ فى دمِنا يُعلنُ زيفَ الحُلْم

يمحُو من رؤيتنا أىَّ دليلْ . .
سَابَقنَا حتى انكسر الظهْر . .
وعطشْنا . .
فسَقانا كأساً بشراب ٍمُرْ
لا ترْوِى أى غليلْ
- يطوى البغضَ الأسودَ للعشاقْ
يبغى أن يشويَهم فى السأمِ
وجمْر الأشواق . .
ثم يباغتُهم بالحسرةِ فى كل سبيلْ . .
- قلتُ . . أفتِّتُ نبْضِى
أصنعُ منه حِصناً للقلبْ
أعلن زمنَ الحبْ
لعل الوحشَ الجائرَ يُغمضُ أعينَه . . ويميلْ
- قلتُ: أدوّى بالكلماتِ الصارخةِ المسنونة
وأرفعُ سيفى بذراعى المجنونة . .
وأطفىءُ كل فتيل . .

ـ قلتُ : أسدِّدُ خطوي
وأكوِّرُ عمريَ بين يديْ
أعطرُ كلَّ نجومِ العالمِ فى عينىْ
ولا أخشى قيظ المجهولْ . .
ـ الآن . .
الزمنُ انحدرَ إلى السَّفْح
يُخفى فى بُردتِه الجُرحْ
وأنا عشقى للعالمِ موصولْ . .
أُعلنُه . . أطويه . .
فيُفلتُ من أيدى الزمنِ
ويُعطى . . ويُنيلْ . .
كل جمالٍ . . وجليل . .

٢٩ - لزومية السكن

ـ رمَيْتَ لى سهماً أصابَ لهفتى
لكنه ما كان يبغى لى تفتُّتى
أضاءنى . . وأشعل السُّكرَ بقلبى
واستوى فى زفرتىِ . .
كأنه الوحىُ السّماوىُّ احتوى يقينى . .
ـ كنتُ أحسُّ القَرَّ والرياحَ والجليدْ
وكنتُ أشقى حيرةً
أسألُ عن وهمِ الخُطى
وغيبةِ الوجودْ . .
أحيا ولا أحيا . .

وكل ما أملك أنفاسٌ من الآهاتِ
في صدري . . تميدْ
تقتلني في شقوتي . . ظنوني . .
- وحينما رميتَ لي السَّهمَ
حسبتُه منيّتي
فقلتُ: حسبي . . أستريح الآن
من لجاجتي . .
فيصمتُ اللسانُ . .
تُطفأ العينُ . . وأُلقى عُدَّتي
لكنك الوفيُّ كنتَ بالحمى الثمين . .
- وافَيْتَني بالقُربِ والحنينِ . . والسَّكنْ
أضْرمتَني قلباً . . وعيناً . . وبدَنْ
أمرتَ طيرَ الحُلمِ أن تحطَّ في يديَّ
بالمِنَنْ
وقلتَ لي : سكنتُ نبضَكَ الآن
غدوتَ لي خدِيني . .

ـ أمسكتُ بالسَّهْمِ الخفىِّ
أخفيه عن الأعين فى حصونيِ
أعلنُ للدنيا جنُونى . .
لكى يميلَ الناسُ عنى
يتركوا الحديثَ عن عشقى
وعن سكونى . .

٣٠ - لزومية الجنون

ـ ما كنتُ إلا بشَراَ
مراوغاً . . وخيِّراَ
معترفاً . . ومُنكرا
وطيباً . . ومُذْنباَ . .
ـ قلبى ارتوى من الصوابِ والخطأ
يطيعُ تارةً
وتارةً بكل نبضٍ يجْترىءْ
لا ينتهى من لهفةٍ مشبوبةٍ
حتى أراه قد بدأ
يروِّضُ الحلمَ . . يمدُّ السَّبَبَا . .
ـ فما الذى يَضير لو أُجنُّ مرةً

وأصطفِى
من عالمى . .
من يستحقُّ صبْوتىِ أو لَهَفىِ
أعطيه ما أعطتْنىَ الدنيا
من الحمى . . والشغفِ
أمنحُه عمراً تلظَّى لهبًا . .
ـ مُخيَّرٌ أنا . .
فلمْ أكونُ عاقلاً . . حكيماً
فى عالمٍ ودَّعَ حكمة الهوى قديما . .
وأشْعل الشمس بثوْبِ الليلِ
أسقطَ النجوما
وآثر العيشَ ـ على أقداره ـ
منقلبا . .
ـ ما كنتُ إلا طفلَ هذا الزمنِ الرَّدِئْ
أسوقُ أظْعانى
ولا أخافُ أىَّ شىْ

عصيةٌ خُطاى . . فى زمانَى العَصِىْ
أسابقُ الرياحَ والمدى والحِقَبا . .
ـ ما كنتُ إلا بشراً
ـ ككل من يحيا ـ
يعيشُ نصفَه مُشرِّقاً . . مُغَرِّباَ
جنونهُ خُطاه
وخطْوه الجنون . .
وعشقُه لم يعرفِ الزُهْدَ
ولا لهيبُه خبا . .
وحرفُه . .
يلقيه مُحرِقاً . . مُذَنَّباَ . .

٣١ - لزومية الارتواء

ـ زَنبُقةٌ تَنْبُتُ فى صدرِى
تتفرَّعُ . . تمتدُّ
تُقطِّرُ عِطرَ هواها فى نهر العمْرِ
وتجدّدُ شِعرِى
أعشقُ شلالَ الحُلم المتدفقَ من فِتْنتِها . .
ـ نبعٌ من شهدٍ . . وعطاءْ
يرْوى عطشَ القلبِ . .
ويشْفى أعتى الأدواءْ
يعصرُ كلَّ نجوم الليل بكأسِ لقاءْ
ويقاسِمُنى نشوةَ نظرتِها

ـ عَطَشى لا يُرْوَى من أولِ رشْفة
طوفانُ النورِ بمقلتها
يرجَحُ فى ميزان اللهفَة ..
وقناديلُ الليلْ ..
لا تُطفأ أبداً فى أركانِ الشرفَة
ولحونٌ لا تهدأُ ..
صنعتْ عِقدَ نضارٍ فى ليلةِ زينتها ..
ـ تلك عروسٌ موكِبهُا الحلمُ
وحورُ العين ..
ومَرْكَبُها مزدانٌ بالدر المكنُون ..
ومداها ..
أنهارصافيةٌ .. وقطوفٌ .. وغصونْ
وأنا الفارس أشعلُ جَذْوة جَلوتِها ..
ـ زَنبقتى ..
لا تسقطُ منها ورقة ..
تتجدّدُ كلَّ صباحٍ .. كل مساء ..

فى طلعةِ شوقٍ مُؤتلِقة
فى نبضة حسٍّ
وشذا عطر . .
وحنين معتصرٍ
وخطى فى قلبِ الليل العاتى مخترقة . .
أعشقها . .
أعشقُ فيها الدنيا فى لونِ عذُوبتها . .
- لا تسألْنى كيف أُروىِّ عطشى من خمرتِها
كيف وقفتُ مريداً فى حضرتِها
كيف أرى عمرى الآتى
ميلاداً يتجدَّدُ . . يتطهرُ فى جذْوتِها . .

٣٢ - لزومية السّباق

ـ ما جئتُ أراهنُ
بحصانٍ خاسرْ
أو أخدعُ من أتسابقُ معه
بالقولِ الغادرْ
لكنى جئتُ أنافِرْ
بالحرف الشاعرْ . .
ـ حرفى يبدأ مُذْ بَدأَ العالَمْ
لا قَيْدَ عليه . . ولا خاتَمْ
يعلو صهوةَ كل ركابٍ
لا يوقفُ سطوتَه طاغوتٌ راغِمْ

أو حذرٍ قاهرْ . .

ـ أشعلُه فى وهجِ الصدْرِ

ولونِ الدمْ

أطلقُه صقراً . . أو موجاً . .

أو عصفاً . . أو سهمْ . .

ألقفُه حين يعودُ إلىّ

وأُخفيه فى وجعِ العظْم

وأعصِرُ منه السرَّ الغائرْ . .

ـ حرفى تاجٌ ملكىٌّ

وسوارٌ ـ فى مِعْصَم ليلى ـ ذهبىْ

وسنا يتفجرّ فيه السرُّ المطْوِىْ

حرفى . . عشقىِ الباقى

والخطوُ القادرْ . .

ـ أحرزُ فوزى فى ساحاتِ الشدِّة

أحملُ فى صدرى للعالمِ

حُلَمَ مودَّة

لكنى لا يمكننى أن أصبرَ
كى لا يطفئَنى السأمُ
ويشْقَى قلبى فى الردَّة
فأكون بعشْقى للَّهفةِ كافرْ . .
ـ حرفى وصلُ القلبِ
وحبْلُ القربِ
وطوفانُ الحبْ
ومرايا الزمن الآتى والغابْر . .
ـ فبأى الآلاء يكذب حرفي
وهو يدوّى فى الساحاتْ . .
يشدو . . ويسابقُ
وينافرْ . .

٣٣ - لزومية الهِجرة

ـ شمسٌ فى مركبها الذهبىْ
تعبرُ خط العرضِ
وتقبضُ زفرتَه قبضَ شقىْ
تتمهل حيث تشاءُ
وتسرع حيث تشاءُ
كأن العالم فى قبضتها سفرٌ مطوىْ
يرضى بالقهرِ . . وبالذلْ . .
ـ أتراها سئمتْ هذا الأفقَ المحمومْ
تبحثُ عن أرضٍ أخرى
وسماءٍ . . ونجومْ

أتراها سئمتْ كل قرابين البشرِ الأُولى
والفلَكَ المرسومْ
وأحسّتْ بشقاء الثُكلُ . .
ـ لو كانت شمسُ الدنيا بشراً . . أو شيطانا
لعصتْ وأبتْ أيَّ خنوعٍ قاهر
وتولتْ عن قبلتِها . . فى صلفٍ قاصرْ
لو كانتْ . .
لانطلقتْ فى أعماق الكونِ تهاجرْ
وبغتْ . . تنزل فى عالمنا الهوْلْ
ـ لا . . لن تهجرَ عالَمنا الشمسُ ضلالاً
لكنا . . من نهجرُها
نقتلُها داخلنا . .
نأباها نوراً . . وجلالاً
نرميها حمقاً . . ونبالاً
ونطوقُها بالعذْل . .
ـ هل حلّ علينا طوفانُ الويل . .

فغدا الخطوُ الثائرُ فى داخلنا
يُخفى شعلتَه فى كهفِ الليل . . .
أم أنّا أزهقْنا أنفسنا
سأماً وقنوطا . .
وقنَعْنا بالظلْ . .

٣٤ - لزومية الخلاص

ـ من عصفِ مُحيط الوهمْ
تهبُّ علينا ريحٌ
حملتْ كلَّ سَقامِ القلبِ
وكلَّ الهمْ
ويكاد النورُ البارقُ فى أعْيننا
ينطفىءُ بطوفانِ الدمْ
ويسْترخى فى لهفتنا الخوفْ . .
ـ اختلطتْ فى الليل الظلمةُ بالنورْ
اشتعلتْ نارُ النقمةِ فى القلبِ المقهورْ
هاجم ليثُ اللومِ خُطانا

فى حَنَقٍ . . وثبُورْ
وتعتَّق فى داخلنا الضعف . .
ـ ها نحن أسيران بُقضبانِ الليلْ
نطلبُ من ربِ العدلِ حنانَ العدلْ
ويدوِّى الدمعُ صراخاً
من وقع خطا هذا الهوْلْ
لكأن الدنيا سئِمتْنا
وتوعّدت الخطو الباقى فينا بالحتفْ
ـ قلنا الرحمةَ ياربَ الرحمةِ والرِّفقْ
ما نحن سوى أغصان فى دوحتكَ
السامقةِ على مفترقِ الشوقْ
فاكسرْ ياربّ . . الطوقْ
وظَلِّلْنا بسحابِ العطفْ
ـ نبحثُ عن وجهِ خلاصٍ من دُنياناَ
وخلاصُ العشقِ بطاقَتنا
يصفو . . سلطاناً . . وأماناَ

لا يقهرهُ ليلٌ . . أو موجٌ
يشقيه فى الأوجاع زماناً
لا يُثْنيهِ عن مَرفئه سيف . .
ـ ها هو قنديلٌ فى أيدينا
لا يُطفأ أبدا
ما طال الليل . . وماطال الأسرُ
وما ذَرفتْ أعيننا دمعاً بددا . .
ها هو نورٌ يسرى فينا ليل نهار
ويطيلُ الأمدا
هو لغةٌ تتوحّدُ فينا
أحرفُها الألفْ . .

٣٥ - لزومية النشوة

- يرطِّبُ قلبى النَّدىَ

أقطّر فى العين نوراً

- بآلائه - مفردا . .

أطهّر فى وقفتى منطقى

مسمعى . . واليدا

وأحفظ عهدىَ فى زُلفتى . .

- قبضتى . . أحرفى

حين أبُسطها . . تُخصبُ الأفقَ

بالألقِ المرُهفِ

فأسمّى النجومَ

أحاورُها بالهوى المدْنفِ . .
واغمسُ حجةَ قولىَ فى لهفتى . .
ـ أىُ شىء ـــ ترى ـ ينقُص العينَ والقلبَ
حين التمنّى . .
أى شىء عساه يكذّب ظنىّ
وبين يدىّ قطوفٌ تُظلّلُ خطوىِ
وتُبعدُ شجْوى . . وحُزنىِ . .
وتُشْبِعُنى بسنا نشوتى . .
ـ لا أودّ الجنوحَ ولو لحظةً
لا أريدُ البديلْ
كلُ شىءِ هنا . .
ـ كان فيما مضى ـ المستحيلْ
فتجسَّد فى راحتىّ ليرْوىِ الغليلْ
ويباعدُنى عن هوى شِقوتى . .
ـ نشوةُ القلب . .
ما مثْلها أىُّ نشْوةْ

صبوةُ الخطوِ ما مثلُها أى صبْوهْ
سلوةُ النفسِ ـ للنفسِ ـ
تمنحُ وحىَ النبوّهْ
تمنحُ الدفءَ . . والإرتواءَ ـ
وتمتدُّ للذروة . .
ـ برَّحَ الشوقُ بى والصبابةُ
فى لذة
سكنَ العشقُ فى القلبِ
منتشياً . .
لا يملُّ من السَّكرةِ . .

٣٦ - لزومية التلفّت

ـ البحرُ أمامى

والأوجاعُ ورائى

وخطاى اللاهثةُ تدقُّ

على عُنقِ البطحاءِ

فتّنى الشوق . . فكان العالمُ

فى عينى جمْرَ شقائى . .

أُفلتُ منه للزمنِ المجهولْ . .

ـ حين خطوتُ أُلبىِّ صيحة أعْلَى نجْمْ

زنْبقَ فى قلبى العزْمْ

وتَسَنْبَلَ فى كفىَّ الوشمْ

وتخذتُ كتابى لعبورِ الفلواتِ

دليلْ . .

ـ البحرْ أمامى . .

لكنْ محظورٌ أن أتلفتْ

أو أنظُرَ خلْفى طرفةَ عينٍ

حتى لا أتفتَّتْ

وتضيعَ خطاى . .

فلا أملكُ إلا أن أقبلَ موتىِ

أو أصمتْ

يصدأ فى قبضةِ كفىِ سيفىِ المصقولْ

ـ قيْل . .

لا تنْظُرْ خلفكَ

فترى الدنيا قصفاً وبروقاً . . وغيوماً

وترى ما كنتَ جنيتَ . . ترابا . . ورميماً

انطلقِ الآن إلى البحرِ

ولا تقنَطْ مذمُوماً

الموج ينادى الآنَ . . وربانُ البحرِ

وكلُ شواطئهِ والحلمُ المأمولْ

ـ ألقيتُ همومى لا أعبأ بالماضىِ الأخرقْ

قلتُ البحرُ عميقٌ يتجدَّد موجاً

فى قلبى . . يتدفَّقْ . .

أرْضَى أن أغرقَ فيه حتى أشرَقْ

وأُروِّى ظَمَئى من ملحِ العشقِ

وأشعلَ فى مرفئه الأقصى قنديلْ

ـ لن أتلفَّتَ خلفى طرفةَ عينْ

والحسنُ بعيْنى مكتملُ الحسنْ

والوجدُ تجسَّدَ طعْماً . . لوناً . . رائحةً

يملأ بين يدىَّ الدَّنْ

فأشربُ ما شئتُ بلا خوفٍ

شهداً معسولْ . .

للمؤلف

أ - الأعمال الشعرية :

* الطريق والقلب الحائر	دار الكتاب العربى	١٩٦٧
* الهجرة من الجهات الأربع	مؤسسة التأليف والنشر	١٩٧٠
* البحث عن الدائرة المجهولة	دار الناشر العربى	١٩٧٣
* الليل وذاكرة والأوراق	مكتبة مدبولى	١٩٧٧
* الخروج إلى النهر	هيئة الكتاب	١٩٨٠
* السفر والأوسمة	دار الشروق	١٩٨٥
* العطش الأكبر	مكتبة مدبولى	١٩٨٦
* الشوق فى مدائن العشق	هيئة الكتاب	١٩٨٧
* قراءة فى كتاب الليل	دار الشروق	١٩٨٩
* الأعمال الشعرية (٨ دواوين فى مجلد)	هيئة الكتاب	١٩٩٢
* شظايا	دار الشروق	١٩٩٣
* الزمان العصّى	هيئة الكتاب	١٩٩٥
* الرحيل الى المدن الساهرة	الثقافة الجماهيرية	١٩٩٧
* لزوميات	هيئة الكتاب	١٩٩٧

ب - المسرح الشعرى :

* أخناتون	دار المعارف	١٩٨٢
* شهريار	هيئة الكتاب	١٩٨٣
* الفارس	هيئة الكتاب	١٩٩٥

ج - دراسات :

* شعرنا القديم رؤية عصرية	المجلس الأعلى للثقافة	١٩٨١
* المرأة فى شعر البياتى	هيئة الكتاب	١٩٨٤

* أطفالنا فى عيون الشعراء	دار المعـــــــــــارف	١٩٨٥
* محمد الهراوى شاعر الأطفال	المركز القومى لثقافة الطفل	١٩٨٦
* التربية الثقافية للطفل العربى	مـركـز الكتـاب للنشـر	١٩٩١
* مسلمون هزموا العجز	الدار المصـــرية اللبنانيـــة	١٩٩١
* عظماء أغفلهم التاريخ	الدار المصـــرية اللبنانيـــة	١٩٩٣
* مجانين العشق العربى	أخـــبـــار اليـــوم	١٩٩٣
* الإعلام الشعرى فى التراث العربى	هيـــئـــة الكتـــاب	١٩٩٥
* الفكر الإسلامى فى ثقافة الطفل العربى	مـركـز الكتـاب للنشـر	١٩٩٧
* محمود سامى البارودى	الدار المصـــرية اللبنانيـــة	١٩٩٨
* قيس بن الملوح شاعر العشق والجنون	الدار المصـــرية اللبنانيـــة	١٩٩٨
* عنترة بن شداد الفارس الأسود	الـدار الـلـبـنـانيـــــة	١٩٩٨

د - للأطفال :

* حكايات من ألف ليلة وليلة (٥ حكايات)	دار الشـــــــروق	١٩٨٠
* عشر مسرحيات شعرية	مـؤســسـة الخليج الـعـربى	١٩٨٧
* حكمة الأجداد (قصص ٣٠ مثلا عربياً)	مـؤســسـة الخليج الـعـربى	١٩٨٩
* أبو العلاء المعرى	دار المعـــــــــــارف	١٩٩٣
* مدائن إسلامية (٨ كتب)	ســـفـــيـــر	١٩٩٣
* طفولة عظماء الإسلام (٨ كتب)	ســـفـــيـــر	١٩٩٣
* أغنى لو (قصائد)	الهيـئـة العـامـة لـلكتـاب	١٩٩٤
* ديوان الطفل ما قبل المدرسة	التـــربيـــة والتـــعـليم	١٩٩٥
* بستان الحكايات (١٠ قصص شعرية)	قـــطـــر الـــنـــدى	١٩٩٦
* ديوان الفتى العربى جـ١	دار الشـــــــروق	١٩٩٧
* تعالوا نغنى حروف الهجاء	المركز العربى للنشر والتوزيع	١٩٩٧

الفهرس

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٥٣٠٧ / ١٩٩٨
I.S.B.N 977 - 01 - 5984 - 0